نزعة التنوير عند الكلبية

د. حمادة أحمد علي

أستاذ الفلسفة اليونانية المساعد
جامعة جنوب الوادى
كلية الآداب بقنا

ملخص:

تعد المدرسة الكلبية من المدارس السقراطية التى لم تنل حظها من الدراسة فى الوطن العربى، رغم توافر عناصر التنوير فيها، وإن كان التنوير يستند على نقد الموروث واستعمال العقل، فقد أقامت العقل حجة على الدين اليونانى بل رفضت التعلق بالمظهر وترك الجوهر منه؛ لذا طرحنا فى هذا البحث نقد الفيلسوف الكلبى للعادات الشائعة سواء أكانت عادات الفرد كالمأكل والملبس والمشرب والزينة وغيرها أم عادات الأسرة ومفهوم الزواج وإنجاب الأطفال وتربيتهم أم عادات المدينة فى المواطنة والنفى والعمل السياسى، وتناولنا مفهوم المواطنة الكونية وهو مفهوم جوهرى تخلل بنية الفكر الهيللينستى عمومًا، ثم عرجنا لمفهوم الفضيلة وتعرضنا فيه للمفهوم كرؤية تنويرية طرحها الكلبيون.

الكلمات المفاتحية : الكلبية – نقد الموروث – المواطنة الكونية- الفضيلة

ملخص باللغة الإنجليزية

Cynicism is one of the few Socratic schools that have not had the chance to study in the Arab world. Despite the availability of the elements of enlightenment therein, although enlightenment is based on criticism of inheritance and the use of reason, the mind has established an argument on the Greek religion, but refused to attach to the appearance and leave the essence of it. Therefore we put forward in this research the criticism of the cynics philosopher of common customs, whether the habits of the individual, such as food, clothing, drink and adornment, or other family habits and the concept of marriage and childbearing and education or the city's customs of citizenship and exile and political action, and dealt with the concept of cosmopolis, which is a fundamental concept permeated the structure of Hellenistic thought in general, We have moved to the concept of virtue and presented it to the concept as an enlightening vision put forth by the cynicism.

Keywords: cynicism, criticism of inheritance, cosmopolis, virtue

مقدمة :

لقد ساد الانطباع حول المدرسة الكلبية بأنها تتجه للنفع واللذة، وبما أنها متجذرة عن المذهب السقراطى العتيد فإنها خرجت عن الطابع الكلى لفلسفته، إلا أن هذا البحث يبين أن الكلبيين فى رؤيتهم التنويرية لم يخرجوا عن النسق الفلسفى لسقراط وتشربوا نهج السخرية والتهكم منه ، وسلكوا دربًا مختلفًا فى تنويرهم عنه. وإذا كان التنوير محله العقل بالمفهوم المعاصر للاصطلاح فإن الكلبية حاولت بما تملك نبذ الموروث الشائع لأجل الإصلاح والتنوير فحسب، ولم تكن مواقفهم من الدين والأخلاق السياسة والإنسان فى عمويتها والطبيعة فى وفاقها أو على نحو ما اعتيد من تناول الاصطلاح 'العيش وفق الطبيعة' فى مدارس الفكر الهيللينستى هو السخرية، بل بناء حالة من التنوير فى المجتمع الذى عج بالخلل الصريح.

وقد تألفت الدراسة من مقدمة وأربعة عناصر، أما المقدمة فنوضح فيها أهمية الموضوع ومنهجه وإشكالياته وبنيته، وأما العنصر الأول، وهو بعنوان التنوير والكلبية ونتناول فيه معنى التنوير لغة واصطلاحًا، ثم نعرج لتناول نشأة المفهوم فى أوروبا، ثم نبين الإطار العام الذى يحكم المذهب الكلبى على نحو مجمل دون استطراد. وأما العنصر الثانى، وهو بعنوان نقد الموروث، فعددنا فيه نقد الفيلسوف الكلبى للعادات الشائعة سواء أكانت عادات الفرد كالمأكل والملبس والمشرب والزينة وغيرها أم عادات الأسرة ومفهوم الزواج وإنجاب الأطفال وتربيتهم أم عادات المدينة فى المواطنة والنفى والعمل السياسى. وأما العنصر الثالث، وهو بعنوان المواطنة الكونية وهو مفهوم جوهرى تخلل بنية الفكر الهيللينستى عمومًا، وأما العنصر الرابع، وهو بعنوان الفضيلة ونتعرض فيه للمفهوم كرؤية تنويرية طرحها الكلبيون.

وللكشف عن مفهوم التنوير عند الكلبية استخدمنا منهجًا تحليليًا مقارنًا حتى يتسنى لنا التعرض للشذرات التى وردت عن الكلبية ونقارنها فى ضوء السابق واللاحق لها، وأما عن إشكالية الدراسة فإن الدراسة تجيب عن الأسئلة الآتية : ما معنى التنوير؟ وهل نبذ الموروث يعد رؤية تنويرية؟ هل ما قدمه الكلبيون عن المواطنة الكونية يعد تنويرًا؟، هل اختلف مفهوم الفضيلة بشقيها النظرى والعملى اللذين يمثلان بعدًا تنويريًا عن مفهوم الفضيلة عند مدارس الفكر الهيللينستى؟

أولًا، مفهوم التنوير والكلبية

جاء في لسان العرب لابن منظور، أن التنوير هو وقتُ إسفار الصبح، يقال قد نوَّر الصبح تنويرًا، والتنوير : الإنارة، والتنوير : الإسفار. [١] وفي المعجم الوسيط، استنار : أضاء، ويقال : استنار الشعبُ : صار واعياً مثقفاً. و به :استمدَّ شعاعَه، و عليه : ظَفِرَ به وغَلَبَهُ، ونَوَّر اللهُ قلبَه : هداه إلى الحق والخير[٢].

أما التنوير اصطلاحًا فهو الاستخدام العام لعقل الإنسان في جميع القضايا، وتبني شعار "لا سلطان على العقل إلا للعقل،" وهو شجاعة استخدام العقل ولو كان ذلك ضد الدين وضد النص، والدعوة إلى تجاوز العقائد الغيبية، والإيمان بقدرة الإنسان الذاتية على الفهم والتحليل والتشريع [٣].

والتنوير رغبة في أن تكون الشئون الإنسانية مقودة بالعقل بدلاً من انصياعها للعقيدة والخرافة والنبوءة، وأن التنوير هو الإيمان بقوة العقل البشري على أن يُغير المجتمع ، وأن يحرر الفرد من قيود العادات والسلطات الاعتباطية ويستند كل هذا إلى رؤية عالمية يدعمها العلم وليس الدين أو التقاليد [٤].

يقوم التنوير على تقديس العقل، والإيمان بأن الثقافة الخالدة، إنما هي الثقافة الإنسانية التي تتخطى حدود الزمان والمكان، وبحيث تتحرر من العادات والتقاليد والرجعية، وتنطلق ساعية إلى تحقيق سعادة الإنسان، بما تتضمن من آداب وعلوم وفنون سامية رفيعة. [٥]

وأمّا لفظة التّنوير فظهرت في أوروبّا أول مرة في فرنسا، وذلك حين استخدم الأب ديبوس لفظ عصر التّنوير في العام ١٧٣٣م، واستخدمه روسو في الخطاب الأول العام م١٧٥٠ واستخدمه جان لورون دالمبير الذي أسهم في الموسوعة سنة ١٧٥١م، ثم استخدمه آخرون في كلّ أنحاء فرنسا، أمّا في ألمانيا فقد ظهر لفظ التّنوير عندما تساءل كانط في نقاش حوله سنة ١٧٨٤م عن: هل نحن نعيش الآن في عصر متنور؟ وكانت الإجابة لا، بل نعيش في عصر التّنوي، [٦].أمّا في بريطانيا، فقد استغرق اسم التّنوير أكثر من قرن حتى ظهر باللّغة الإنجليزيّة ذلك أنه أطلق أول مرة على مذهب فلاسفة فرنسا المتنورون لفظ: تفلسف، وبعد سنوات طويلة ظهر مصطلح الاستنارة، وبعدها في العام ١٨٩٩م استعمل أحد مترجمي كتاب هيغل فلسفة التّاريخ كلمة تجليّة أو إيضاح الفرنسيّة، وذلك لأنه ليس هناك لفظ متداول في اللّغة الإنجليزيّة يدل على تلك الحركة التنويريّة. وقد ظهرت الطبعة الحادية عشرة الشهيرة لدائرة المعارف

البريطانيّة في العام ١٩١١م من دون أن تتناول موضوع التّنوير، إلا أنه في الطبعة الرابعة عشرة في سنة ١٩٢٩م تضمنت الموضوع، وأطلقت؛ أي دائرة المعارف البريطانيّة، اللّفظ على الألمان خصوصًا، ولم ينطبق على الفرنسيّين والإنجليز إلا بشكل عرضي[٧]

وقد ارتبط اسم التّنوير فلسفيًّا بحركة قامت في أوروبّا تعتمد فكرة إعمال العقل في فهم الواقع، كما أن هذه الحركة وقفت ضدّ الحروب الدينيّة المذهبيّة، بل إنّها لم تظهر إلا نتيجة الصراعات الدّينيّة الدّمويّة التي عرفها القرنان السادس عشر والسابع عشر [٨] وعليه فالتّنوير هو حركة اجتماعيّة وحركة عقليّة [٩] تقف ضدّ أية عصبيّة مذهبيّة؛ ولذا يمكن أن نستنتج أن الإنسان التّنويري لا يقف إلى جانب طائفته ضدّ طائفة أخرى، بل إنه يرتفع عن جميع الطوائف، لأنه يؤمن بقيمة الإنسان قبل كلّ شيء. ولنا في القصّة الشهيرة لوقوف فولتير مع عائلة جان كالاس خير مثال عن مواقف الإنسان التّنويري.

وإن كان التنوير على هذه الشاكلة من ناحية اللغة والاصطلاح والنشأة فإن الكلبيين سلكوا المسلك التنويرى فسخروا من النظريات المتعالية واستهزءوا بكل ما اعتبره المجتمع حسنًا، وكرسوا حياتهم لتربية اتباعهم، وهدفوا إلى دفع العامة إلى التفكير الذاتى، وقال ديوجين السينوبى قول أفلاطون " ما فائدة إنسان قضى جل وقته يتفلسف دون أن يزعج أحدًا أو يقلقه" ، وكذلك بقيت الكلبية أعظم الحركات الفلسفية قلقًا فى العالم الغربى، فهى غير مقبولة فى صدقها الصارم وتجاهلها للأعراف وحيرتها الفلسفية فى رفضها لأى أيدولوجيا متجانسة أو أسس العقائد الفلسفية.

ويرجع دونالد دولى سبب تسمية الكلبية لأربعة أسباب، وهى أولاً بسبب روح التشابه وعدم وجود اختلافات في طريقتهم في العيش والحياة؛ ولذلك شكلوا نحلة (فرقة) متساوية (لا اختلاف فيها) ، وهم بهذا المعنى مثل الكلاب؛ يأكلون في الأماكن العامة، ويتزاوجون في الشوارع، ويمشون حفاة، وينامون في الحبوب (وهي جرار أو أحواض فخارية كبيرة مهجورة) في تقاطع الشوارع، ثانياً بسبب أن الكلب حيوان لا يعرف الحياء والخجل. ولذلك كونوا نحلة (طائفة) متحررة من الخجل والحياء. وهذا ليس بمعنى التواضع، وإنما بمعنى السمو والعلو. ثالثاً بسبب إن الكلب هو الحارس الأمين، ولذلك كان الفلاسفة الكلبيون الحراس الأمناء على عقائدهم الفلسفية، رابعاً وبسبب إن الكلب

حيوان متميز، يملك القابلية على تمييز الأصدقاء من الأعداء، وعلى هذا الأساس فإن الفلاسفة الكلبيين يعترفون بحق الأصدقاء المناسبين إلى الفلسفة، حيث يستقبلونهم بكل رحابة وابتهاج، وأما من لا يتلائمون مع الفلسفة فإنهم يُطردون مثل الكلاب، وذلك عن طريق النباح عليهم [١٠].

وهناك ما يدعونا لإسقاط اصطلاح التنوير على الكلبية؛ لأن غاية الكلبية هى الحياة السعيدة التى يمكن أن تتحقق فى العيش وفقًا للطبيعة، وأن تحقيق الذات هو أن يحيا الإنسان عيش السمو أى عيش الفضيلة، وأن الطريق إلى عيش الفضيلة فى تحرير النفس من الثروة والسلطة والشهرة والتى لا قيمة لها فى الطبيعة، والتخلى عن الأحكام الكاذبة التى تسبب الانفعالات السلبية والمعاناة، وكى يتحقق هذا كان لزامًا أن ينبذ الموروث اليونانى المعاصر لهم باستعمال العقل.

وينقسم تاريخ الكلبية إلى مرحلتين غير متساويتين: الأولى تتضمن الكلبية المبكرة من بدايات الحركة حتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد عند أنتستينيس Antisthenes وديوجين Diogenes وأُنيسيكريتوس Onesicritus ومونيموس Monimus وكراتياس Crates وهيبارخيا Hipparchia وميتروكوليس Metrocles وبيون Bion ومينيبوس Menippus وكيركيديس Cercidas وأخرون قليلون، وتحتضن المرحلة الثانية الكلبية المتأخرة وتمتد من منتصف القرن الثالث قبل الميلاد إلى الكلبية فى القرن الخامس، وقد تابع عدد لا حصر له من الكلبيين، ولم يكونوا يونانيين فى الأصل ولا فى اللغة ولكن أفراد يمثلون أممًا متباينة اندمجت مع العالم الهيللينستى والامبراطورية الرومانية : الرومان والسوريون والفينيقيون والإسكندريون والوثنيون واليهود والمسيحيون وغيرهم، وكانت المرحلة الأولى قصير تاريخيًا- ما يقرب من مئة وخمسون عامًا، وهى متجانسة لغويًا وهيمن عليها تأثير التابعين لديوجين وأنتيستينيس، وكانت المرحلة الثانية طويلة – ما يربو ستة قرون، وهى متجانسة فى اللغة والتراث، وغالبًا ما تداخلت مع فلسفات ليست كلبية وتيارات دينية مثل اليهودية والمسيحية[١١] .

ويمكننا أن نعثر على الأساس الفلسفى قبل ظهور الكلبية كفرقة كما رصدنا من تبعها حيث تعكس الفلسفة الكلبية مظاهر كلية بعينها للروح الفلسفية، ولهذا السبب يمكننا أن نجد آثار المذهب الكلبى فى كل أين رغم ضعفها بشكل عام وتداخلها مع معتقدات وممارسات لم يفعلها الكلبيون المتحمسون[١٢] .

وقال الأمبراطور جوليان Emperor Julian عن الفلسفة الكلبية إنها صالحة لكل زمن، ولا تحتاج إلى دراسة خاصة، وكل ما على المرء أن يصغى إلى إله ديلفى Delphi، وهو يوجه النصائح ' أعرف نفسك، وغير فيما هو جارٍ'. وإن ما يدعيه جوليان بأن إله ديلفى هو مؤسس المدرسة الكلبية هو مفارقة تاريخية، فلا تنسب الكلبية إلى ديوجين السنوبى Diogenes of Sinope وإنما إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وتستمر حتى أواخر العالم القديم إلى زمن أوغسطين، وشاعت فى عصر الإمبراطورية البيزنطية Empire of Byzantium. وقد بقيت الكلبية وفنيت معظم قيمها الفكرية، وليس طول الحياة دليل الثراء، وقد لا تزيد معرفة دارس الفلسفة القديمة بالكلبية عن أنها نسخة مصغرة لفلسفة سقراط الذى يبالغ فى تقشفه وسخريته على حماقات البشر الذين يؤلون جهدا فى حب المعرفة.

وإن دارس التاريخ الاجتماعى والفكر القديم أكثر اهتماما بالكلبية من دارس الفلسفة. وقد كانت الكلبية من المدارس اليونانية التى رأت أن العالم مجمع الفضائل، وأن الرغبة فى الحياة تبنى على قليل المطالب. وظهرت الكلبية فى مراحل مختلفة فى الحضارة الغربية، وكان يحركها النظام السياسى والاقتصادى والحماس الدينى أو رد فعل الحضارة النامية (١٣).

لقد تفرعت عن سقراط بعد وفاته مدارس صغيرة تزعم كل منها أنها استمدت تعاليمها ومبادئها من مذهبه ومنها المدرسة الميغارية ومؤسسها إقليدس الميغاري، والقورينائية ومؤسسها أرستبوس، وكانت بمثابة مقدمة للمدرسة الأبيقورية في العصر الهلينستي، والمدرسة الكلبية وأسسها أنتستينيس ومنها استمدت الرواقية تعاليمها ومبادئها الأخلاقية(١٤) .

وكانت الفلسفة الكلبية جزءاً من الحركة التي تهدف إلي الرجوع إلي الطبيعة، وهي الحركة التي قامت في أثينا رداً علي ما أحدثته الحضارة المعقدة من عدم توازن في شئون الحياة، ذلك أن الناس ليسوا متحضرين بالفطرة وهم لا يحتملون قيود الحياة المنظمة، إلا أنهم يخشون مغبة العقاب والوحدة (١٥).

وتعتبر المدرسة الكلبية نزعة عملية أكثر منها فلسفة، فهي طريق وأسلوب حياة، ترتكز تعاليمها علي مبدأ الحياة الفاضلة، فلقد عرفوا أن سعادة الإنسان الحقيقية تكمن في السلوك الصحيح، وذلك عن طريق كبح جماح الشهوات Appetites واتباع قانون الطبيعة Low of Nature (١٦)، وكان السبب في ذلك هو فهمهم للحقيقة السقراطية علي أنها الاستقلال عن اللذت والممتلكات

الأرضية، ولقد كان هذا هو تعريفهم للفضيلة، حيث تعني التخلي الكامل عن كل شئ يجعل الحياة جديرة بأن تعاش في أعين الناس العاديين، ثم نادوا بالزهد Asceticism الكامل واستقامة النفس بصرامة[١٧]، ولذا يعد أنتستانس ممارسة الفضيلة البداية في الفلسفة، فهي تتمثل في الأعمال والسلوك وليست في النظر. ولا تحتاج إلي علم ولا إلي هبة إلهية، ولكنها ثمرة التعود والممارسة وهي السبيل الأوحد لبلوغ السعادة [١٨].

وظهرت الكلبية بعد أن فقدت اليونان نفسها استقلالها السياسي، وأصبح الأجانب هم الذين يصرفون شئونها السياسية الأمر الذي أودي برخاء البلاد ومعتقداتها القديمة، وأدي إلي انتكاس القيم الأخلاقية الأصلية تحت ضغط الاتجاه السائد إلي طلب اللذة والاستمتاع بالحياة والحصول علي الغنائم ومن الطبيعي أن يعزف الناس عن النظر العميق في ميادين العلم والفلسفة[١٩] .

وفي ظل هذا الصراع حول مطالب الحياة اليومية كان لابد من ضحايا اعتصرتهم ضراوة المواجهة المنافية للمبادئ والمثل الأخلاقية، فكان إذن علي الفلسفة أن تنهض لتقدم العلاج والراحة النفسية لهؤلاء، حيث يجدون لديها الملجأ الأمين والطريق الممهد للتطهير، وذلك بقطع كل صلاتهم بالظروف الخارجية ثم بالعكوف علي حياتهم الباطنية فالتأمل إذن كان الأسلوب المستخدم في تطهير النفس وممارستها الحياة الروحية الكاملة، وقد تميزت الفلسفة الهللينسيتية حينذاك باتجاه ملحوظ في البحث في الأخلاقيات، وتأثرت في هذا بنزعة صوفية واضحة وبآراء الشرق ومذاهبه[٢٠].

كان من شأن الحوادث الكبرى التي وقعت في بلاد اليونان في عهد "فيليب" و"الإسكندر" أن جردت الأخلاق اليونانية من طابعها القومي المألوف عند أرسطو وأفلاطون؛ فلم يعد للمواطن "اليوناني" وجود، سقط القناع اليوناني القديم، ولم يبق سوى"الإنسان" فأرادت الفلسفة أن تعلمه الفضيلة وأن ترشده إلي السعادة، فكان سبيلها أن تصرفه عن كل شيء، حتى عن الوطن. ومن أجل هذا وجدنا الطابع العام للمذاهب الفلسفية في "العصر الهليني"هو عدم الاكتراث بالأمور السياسية: فمذاهب "ديوجانس" و"وأرستيبوس" و"بيرون" و"قرنيادس" و"أبيقور" و"وزينون" علي ما بينهما من اختلاف إنما هي صور متنوعة لسعي الإنسان إلي الانطواء علي النفس، والانصراف عن الأشياء الخارجية والمظاهر الخداعة التي تحول بينه وبين تكميل نفسه وإسعادها. لقد كانت "أثينا" من قبل زعيمة الحرية، حرية الفرد في المدينة، وحرية المدينة في بلاد اليونان[٢١].

فلما انحلت المعتقدات القديمة وهوت الحرية السياسية، ووهنت الفضائل الأخلاقية، لم يبق أمام النفس الإنسانية إلا أن تنكمش علي ذاتها، حتي تصادف عقائد جديد تشغل فيها نار الحب والأمل، ولم يبق أمام فلاسفة أثينا إلا أن ينهضوا بعبء هذه المهمة، فقاموا يبيّنون للناس أن "الحكيم" يظل حرا إذا عرف كيف يستكفي بنفسه، وكيف يحيا علي وفاق مع نظام العالم(٢٢).

وفي الوقت الذي أسس فيه أبيقور مدرسته (٣٠٦ق.م) وأقام فيه زينون الكتيومي مدرسة الرواق (٣٠١ق.م) كان العالم اليوناني يشهد انقلابًا خطيراً في كل مناحي الحياة؛ فقد انهارت دولة المدينة المحكومة ذاتيًا، والتي تتيح قدرًا عظيمًا من الحرية والمشاركة للمواطن، وقامت الدولة الإمبراطورية علي يد الإسكندر وخلفائه التي وأدت فيها الديمقراطية، وكممت الأفواه، وقيدت الحريات، وكان علي الفلسفتين العظيمتين في هذا العصر أن تأخذا بيد البائسين في خضم هذه الاضطرابات المتلاطمة، وأن توفر لهم الأمان النفسي والعقلي والجسدي، وبينما رأت الأبيقورية وسيلة تحقيق ذلك اعتزال المجتمع والاهتمام فحسب بسلام الإنسان الباطني وتحرره من المخاوف، آمنت الرواقية بالعكس؛ فوسيلة النجاة لديها الانغماس في هذا المجتمع ومحاولة التكيف معه، فإذا لم يكن بوسع الإنسان أن يغير واقعه إلي ما بحبه هو فعليه أن يغير من نفسه هو لتتوافق مع هذا الواقع(٢٣).

وكأن الفلسفة قد أنهكها ذلك المجهود الجبار الذي بذلته في صعودها علي مرفأة الفكر، فأخذت حيناً من الدهر في النزول من الذروة الشاهقة التي كان أصحابها قد حملوها إليها واشتقت لنفسها طريقًا آخر ولعل هذا الاتجاه الجديد كان مرجعه إلي تبدل الظروف السياسية فقد فقدت بلاد اليونان حريتها وأضعفتها حرب البلوبونيز وأضحت تابعة لمقدونيا، وكادت أن تقع تحت سيطرة الرومان فلما ضاعت الحرية طوي الفكر جناحيه قامت فلسفات جديدة، فقصرت نظرتها علي العالم الحسي ولم تحفل إلا بالمبادئ الجسمانية، ولكنها عنيت رغم ذلك بالسلوك الإنساني، فأرادت أن تكفل للإنسان ملاذاً في الضراء وحين البأس، فرأي الكلبيون الخير الأسمي والأعلى في المجهود ورآه القورينائيون في اللذة ولكن أرسطو حين اتخذ المثالية مذهباً شاملاً ينطبق علي جميع حقائق الكون، حدث رد فعل قوي تجلي في نظريات إضافية، فأصبح المذهب القورينائي مذهب أبيقور، وأضحي المذهب الكلبي مذهب الرواقية، وإن كانت الرواقية قد قامت علي أرض يونانية إلا أن فلسفتها ثمرة الاتصال بين الشرق والغرب، ذلك الاتصال المشهور الذي نشأ علي أثر فتوحات الإسكندر، وإضافة إلي هذا أن أغلب أنصار الرواقية هم الشرقيون يرجع أصلهم إلي أقطار مدن شرقية كقبرص وصيدا (٢٤).

أصبحت الفلسفة متمركزة حول الإنسان وقاصرة عليه ، وكل شيء يدور حوله الذات الفردية ومصيرها وقدرها ورفاهية النفس، ولم يعد الناس مهتمين بالمشكلات الأوسع للكون، بل المشكلات الصغيرة نسبياً الخاصة بالحياة الإنسانية، فإن نظرتهم تصبح أخلاقية، ومن ثم لم يعد عندنا الآن مذاهب كلية شاملة عظيمة كمذهب أفلاطون وأرسطو، ولم تعد دراسة الميتافزيقا والفيزيقا والمنطق تتمة في ذاتها بل هي تمهيدات لفلسفة الأخلاق، وضيق الأفق الذي ازداد وتركز إنما ينتهي في آخر الأمر إلي التعصب، ومن هنا نجد ذروة الزهد المتعصب الذي أخذت به الرواقية (٢٥).

وإن كنا قد تناولنا فى العنصر الأول الجانب النظرى لمفهوم التنوير واصطلاحه ونشأته ثم عرجنا على توضيح أسباب نشأة التنوير عند الكلبية، فإن نزعة التنوير عندهم قد تتضح خلال الجانب العملى الذى يتجسد فى نقد الموروث.

ثانيًا، نقد الموروث.

كان أبرز نشاط للكلبية القديمة هو نبذهم للموروث، فقد رفض الكلبيون العادات كظاهرة ثقافية مثيرة فى حد ذاتها، وأن فهمها بتفاصيلها قد يُغرق المرء فى سلسلة طويلة من الأعراف الإجتماعية اليونانية، ومن ثم، ما العادات؟ إن العادات ممارسات وتوقعات تُوجه حياة الفرد والمجتمع، الذى اعتاد أحيانا أن تقبع فى ابتذال بالكاد يلحظونه، فأحدهم أخذ العادات أمرًا مفروغًا منه ونسى جذورها كما لو كانت موجودة أبدًا، ونادرًا ما يتفحصونها، لقد شكك السوفسطائيون القدامى فى عادات مجتمعهم مثلما فعل غيرهم من الفلاسفة القدامى، وكان الكلبيون أكثر منهم راديكالية فى تشككهم حيث وصفوا ذواتهم بداية من ديوجين حتى أخر كلبى فى العالم القديم بأنهم 'متزمجرون' فى المؤسسات والطقوس والمعتقدات والفروض التى حياها معاصروهم، ولم تشكل قائمة أعمالهم النقدية هذا أو ذاك، والكلبى فى ازدرائه لكل الأشياء تقليديًا، وفى حديثه الذى يبدو عالميا يتجنب الكلبى الملبس التقليدى والتزيين الجسدى بالمجوهرات ورفض النظام الغذائى، ولا يعيش فى منزل ويسخر من الاستحمام والألعاب، ويسخر من الاحتفالات والأضاحى والتضرع والحياة الدينية عمومًا، ولا يتزوج، ويتهرب من العمل، ويختفى عن المحاكم والتجمعات والجيش وساحات المشاركات السياسية، ويسعى جاهدًا للخروج عن أنماط قديمة للحديث، ويلقى بذاته فى لغة برية جديدة. وكل هذه الأمور بدءًا من الاحتياجات الجسمية والطعام إلى اللغة والدين والسياسة والدين يمكن أن نحصرها فى نقاط: عادات الفرد، وعادات الأسرة، وعادات المدينة، وعادات النفس.

أ- عادات الفرد

كان الفيلسوف الكلبى يميز نفسه بما يلبسه – يكاد لا يلبس. فمنذ زمن جوليان كان الكلبى معروفًا بين مواطنيه ببؤجة سفر pēra ولحية وعباءة رقيقة tribōn ولا شيء آخر سوى أوساخه، وسوف نتعرض لمظهر الكلبيين، فالعصاة كان لها استعمالات عدة: للمشى والترحال والدفاع عن النفس، وهى فى النهاية تقليد، وأصبحت عصا الكلبى فى منتدى هيراكليس بمنزلة سلاح له وجود سامٍ يجرى الحق بالحق الإلهى للتغلب على شرور العالم، وكما ارتدى غالب الكلبيين غطاءً رفيعًا يُسمى التربيان tribōn وكان غطاءً رقيقًا، وهو رداء اعتاد أن يرتديه الفقراء والعبيد، ولم يكن هذا الرداء صالحًا لفصل الشتاء فكان الكلبى يطويه فى أشهر البرد الشديد ليدفئه، وهذا يعنى أن هذا الرداء كان يُلف حول الجزء العلوى للجسم مرتين، فيدفئ الصدر والخصر ويترك الساقين والذراعين مكشوفتين، ناهيك عن القدمين العاريتين، لأنه كان يفضل أن يكون حافيًا مثل سقراط، فقد تحدث أفلاطون عن سقراط أحيانا بأنه "الحافى" وهذا من قبيل المديح، حيث كان أفلاطون ارستقراطيًا، وكان الحذاء قديمًا شيئًا من الترف، وكان يحتفظ به للسفر أو المناسبات.وكانت بؤجة الكلبى الحقيقى تحوى ممتلكات قليلة مثل البقول وخبز الشعير وكتاب، ولكن الكلبى المزيف كان يحمل مرايا وشفرات حلاقة ونرد وذهب وعطر [٢٦]، فإلى أى مدى كانت صورة العصا والبؤجة نموذجية؟ إن هذه الصورة رفض لخداع الإنسان بالملبس، واستعادة لصورة النقاء البشرى التى يتشبه فيها الإنسان بالحيوان حيث لا يوجد حيوان يصنع أو يتزيى بملابس، وعلى الإنسان أن يقتفى أثره، وإن أمر التخلى عن الملابس الواقية أكثر منطقية لسكان المدن الساحلية فى اليونان وآسيا وجنوب إيطاليا، حيث بمقدور المرء أن يتحمل الشتاء بملابس قليلة نسبيًا، كما يتعين عليه أن يكون قويًا إلى حد ما، والأسوء من ذلك أن الملابس تجعل المرء عبئًا على نفسه ومظهره خادعًا، وقد تصمم معظم أشكال الملابس لا لحماية الجسد بل لإقناع الآخرين وإضفاء الجمال على الجسد بما هو، ولكن لم يضجر الكلبيون من أزياء النساء بل غضبوا من مشهد رجل عجوز يسقط من الرعد بسبب ثيابه، ولذلك عندما رأى ديوجين رجلًا يقع جراء ثيابه طلب منه أن يرفع عباءته ليريه إن كان رجلًا أم امرأة، وعندما يرى شابًا يُجمل نفسه فيقول من المؤسف أن يفعل الرجال هذا ويظلم المرأة. والجدير بالذكر أن قانون مدينة زينون المثالية هو أن يرتدى الرجال والنساء الزى نفسه، ولا يُغطى أى جزء من الجسم بكامله، وربما كانت فكرتهم أن الملبس البسيط من شأنه أن يزيل الغرور، فقد سخر ديموناكس Demonax من المنتصر الأولمبي الذى كان يتزيي ملابس منمقة، وسخر من ابن العضو البارز بمجلس الشيوخ الرومانى، الذى كان يرتدى الأرجوانى الذى كان مكلفًا للغاية وهو يُصنع من عصر ريش

الصقور المرقطة ، وكان الأرجوانى مرادفًا للسلطة: حيث كان يرتديه الآرخون الآثينى (أحد القضاة التسعة فى المحكمة اليونانية) ويضع القادة ومجلس الشيوخ شرائط أرجوانية، وكذلك المواليد الملكيون يطلق عليهم 'مولود فى الأرجوانى porphyro-genit'، ولذا وجدت دلالات الأرجوانى طريقها للنقد الكلبى(٢٧).

وكان من عادة أنتيستينيس كلما وقعت أبصاره على امرأة فى أى مكان وهى فى كامل زينتها وتبرجها – أن يذهب إلى منزلها، ويطلب من زوجها أن يحضر أمامه فرسه وأسلحته، فإذا ما تبين له أن الزوج يملك بالفعل فرسًا وسلاحًا، فإنه كان يسمح له بأن يمضى قدمًا فى التنعم (بما ملكت يداه)، لأن المرء يدافع عن نفسه بهذه (الوسائل) وأمثالها. أما إذا تبين له أنه لا يملك شيئًا من متاع الدنيا، فإنه كان حينئذ يطلب منه حث زوجته على التخلى عن الزخرفة والزينة(٢٨).

وأما عن مسكنه فقد كان الكلبى متشردًا، ولم يكن اليونانيون القدامى بدوا بل عاشوا فى بيوت ليست مأجرة، بل ملك المرء حتى يتمتع بالموضوعية والاحترام، فكونك بلا أرض أو موقد أو بيت أو مدينة فهذا مصير سيىء، فأرسطو حين يعرف الجوهر الإنسانى فى حدود أنه له مأوى ثابت: فالإنسان حيوان سياسى، ذلك الحيوان الذى يميل بطبيعته إلى العيش فى المدن، والمدينة بدورها تتألف من عيش أزواج ، ذكر وأنثى فى منزل فى أرض منتجة، ولكن الكلبيين رفضوا كل هذا بوصفه تحيزًا ثقافيًا، وادعوا أنهم مواطنون فى الكون ، ويجدون المأوى بقدر إمكانهم، فهم جاثمون فى المعابد والجمنازيوم أحيانا، فهى أجمل المنازل وأصحها، ونائمون فى الحمامات أحيانا، وفى الهواء الطلق أحيانا "تحت الأثير" أى "تحت زيوس"، وكانت جرة ديوجين الترابية التى ترتفع عن متر هى أكثر شهرة، وكانت تستعمل لتخزين النبيذ وزيت الزيتون والحبوب، وهى أوعية تخرين معتادة فى العالم القديم . ذكر قصة ديوجين مع الأسكندر .

وروى سينيكا فى كتاب الإحسان أن ديمتريوس الكلبى "حين عرض القيصر جايوس أن يعطيه مئتى ألف وضحك ورفضها، واعتقد انه حتى غير جدير بالتفاخر في رفض المبلغ، يا لعظم الآلهة وعظمة ما في السماء، كم كان جايوس ضحلا سواء حاول أن يكرمه أو يفسده. وأشهد أننى سمعت هذا الرجل الرائع يقول شيئا عظيما حين عبر عن دهشته من جايوس المجنون الذى يريد أن يؤثره بهذا المبلغ، إنه قال " إن أراد أن يختبرنى حقا فعليه أن يغرينى بعرض الإمبراطورية كلها!"(٢٩).

أما بالنسبة للمأكل والمشرب ربما يبدو من باب التزيد عرض طريقة المأكل والمشرب عند الكلبيون إلا أن ما يهمنا طرحه هنا أن طريقتهم هى تجلى

لمذهبهم النظرى، فلا يمكن لأى فكر تنويرى أن يكون محلًا للنظر فحسب ويروى لنا ديوجين لارتوس حكايات عدة تدلل على ذلك منها أنه ذات مرة شاهد غلامًا يشرب الماء من كفيه، فما كان منه إلا أن قذف بالقدح من حقيبة الزاد، وهو يقول: " لقد تفوق على غلام ببساطته المتناهية" (٣٠). وهذه الحكاية درس فى عدم التكلف حيث كان تخلى الكلبى لأجل البساطة عن الكؤوس المنمقة واكتفى بقدح فى بؤجته، وسرعان ما وجد ما هو أبسط فاتبعه، فهذا يبين أن الكلبية دربًا للعيش البسيط غير المتكلف. ولأجل تحقيق هذه البساطة روى أنه أكل لحمًا نيئًا ولكنه لم يستطع هضمه (٣١).

ويكشف لنا ديوجين بأنه يجب ألا ننظر إلى الأشياء بثمنها بل بقيمتها فكان من عادته أن يقول إن الأشياء الثمينة ذات القيمة العالية تباع لقاء ثمن بخس والعكس صحيح، فعلى سبيل المثال نجد التمثال يباع بثلاثة آلاف دراخمة، أما مكيال دقيق الشعير فيباع بفلسين من البرونز فقط (٣٢).

وعندما سئل ديوجين عن نوعية الكلب الذى كان عليه مسلكه، قال: " إننى كلب ميليتى عند الجوع، وكلب مولوسى عند الشبع، وهما الفصيلتان اللتان يثنى عليهما معظم الناس، لكنهم لا يجسرون على اصطحاب أى منهما عند الصيد خوفًا من الإصابة بالإنهاك والتعب، وعلى هذا النحو، فليس بوسعكم أن تعاشرونى بسبب خوفكم من معاناة الآلام والمتاعب" (٣٣) .

وردًا على شخص كان يقول له: "إن معظم الناس يسخرون منك"، قال: " ويحتمل أن هذا هو ذاته مسلك الحمير معهم، حيث إن هؤلاء الناس لا يلقون بالًا للحمير، فإننى بدورى لا آبه بهم ولو مثقال ذرة" (٣٤).

واستعمل ديوجين الحجج المنطقية وأمثالها فى أقواله: " إذا كان تناول الطعام جهرًا أمرًا لائقًا، وإذا كان تناول الطعام فى ساحة السوق أمرًا لائقًا، فمن اللائق إذن أن تتناول الطعام على الملأ، ومن اللائق أن تأكل وأنت فى ساحة السوق (٣٥) .

ويروى فيلون السكندرى أن ديوجين الكلبى أظهر سمو العقل وعظم الروح عندما قبض عليه القراصنة، وقصدوا فى معاملتهم له أن يمنحوه بالكاد ما يبقيه على قيد الحياة، ولكنه لم ينحن لسوء حظه الآنى، ولم يخش بطش خاطفيه، ولكنه قال ما يلى"ما الغرابة عن كان المرء لديه خنازير أو خراف وينوي بيعها، فإنه ينتقى لها المأكل ليسمنها ليمتلئ جسدها، ومن ثم حين يقترف المرء هذه الفعلة مع أرقى الكائنات، وهو إنسان فإنه ينتقص من طعامه ويجوعه فيحوله إلى هيكل عظم"(٣٦).

ب، عادات الأسرة.

إن لم يكن للكلبى منزل، فبالتالى لا يمتلك أيا من مظاهره، فقد رفض الكلبى بداية الزواج التقليدى باعتباره عبئًا لا لزوم له، وعائقًا للحرية، وقد أطلق ديوجين على عشيقات الملوك بعاهرات الملوك kingesses ،"لأنهم يجعلون الملوك يمهدون فراشهم"، وعندما استشار أحد بيون Bion هل يتزوج أم لا، أجاب بمنطق قاسٍ، إذا كانت زوجتك قبيحة سوف تلقى عقابك وإن كانت جميلة فلن تحصل عليها"، أى إذا تزوجت امرأة جميلة فسوف يتعين عليك أن تتقاسمها، أو بعبارة أخرى لا تتزوج(٣٧).

ونظرًا للنزعة الفردية الراديكالية ليست من المستغرب أن معظم الكلبيين المعروفين لم 'يربطوا العقدة'، ويؤكد الاستثناء 'زواج الكلب -dog marriage' الشهير لكراتيس وهيبارخيا.

وإذا كان الكلبيون رفضوا قيم الأسرة فكيف نظروا إلى الأطفال وهل الرغبة فى الأطفال طبيعية أم مبتذلة؟ لقد رأى بعض المفكرين القدامى ومن بينهم الرواقيون أن هذه الرغبة للحفاظ على الذات وكذلك رأى أفلاطون وأرسطو أن الرغبة الجنسية ليست مجرد حافز للتفريغ أو ليست للحصول على بعض من الارتياح والأحرى إنها وسائل طبيعية لاستمرار الأنواع، وتسمح للمرء أن يحيا بعد الموت، ويتصور سقراط فى مأدبة أفلاطون الرغبة الجنسية على أنها روح حارسة daimōn تتوسط بين الزمن والأبدية: فبالجنس ينتج المرء شبيهه ويحيا بطفله، وبالتالى يحتال على الموت لأجيال على الأقل، ولكن الأمر عند الكلبيين مختلف (٣٨) ويؤكد إبكتيتوس أن الكلبى الحق هو أب حق لأنه يُعامل كل البشر ويحبهم مثل أطفاله(٣٩).

إن اللهجة والحجة التى عليها الموقف الكلبى مثيرة رغم أنها ليست متسقة تمامًا؛ لأنه إذا كان الدافع الجنسى طبيعيًا، وهى الرغبة فى إرضائه فإن خلفة الأطفال كذلك، ولكن إذا ولد الأطفال فمن الذى سيربيهم؟، حيث لا يمكن أن يوضع الأطفال ويتركوا مثل بيض الحشرات، فالرعاية المستديمة أمر طبيعى للحيوان البشرى، ومع ذلك فإن الأدبيات الممتدة عند الكلبيين لم تكترث لهذه القضية، وقد يجيب أحد الكلبيين فى رسائله بأن انقراض جنس البشر لن يكون أسوء من انقراض الدبابير أو الذباب (٤٠)، ودعى ديوجين فى الجمهورية المنسوب إليه مجتمع النساء والرجال بتربية أطفالهم معًا، أى الكل مجتمعين، وهذا يذكرنا بجمهورية أفلاطون حيث يعد سقراط الأسرة النووية مجرد اجتماع ، وشُرعت للوجود للخير العام، وقد دافع ديوجين على مثل هذا 'الإصلاح'،

وربما قد يكون قد استلهمه من حالات تعدد الزوجات أو حتى المجتمعات المتعددة الزوجات التى يتربى فيها الأطفال مجتمعين فى كنف آباء مختلفين. ويحكى أن ثلاثة من أشرار الكلبية تناوبوا على امرأة عاهرة، ولم تقاومهم وأنجبت منهم أطفالًا، ولم يكترث أحدهم بتربية الأطفال(٤١).

واللافت أيضا هو رفض الكلبى لعناصر أخرى فى الأسرة وهى العبودية، وهو يعارض أرسطو حينما رأى أن العبد جزءًا من الأسرة مثل الحيوانات والأثاث، فالأسرة عند أرسطو تتألف من زوج وزوجة وأطفال وممتلكات وبعض الممتلكات غير الحية مثل الأرض والمبانى والأدوات وبعض الممتلكات الحية مثل الخيول والثيران والعبيد ويصفها أرسطو بالأدوات الحية.

وكان موقف الكلبيين من العبودية تنويريًا حيث انتشرت فى القرن الأول أسواق العبيد فى رودس وديلوس وروما بإفراط، وقليل هم من تعرضوا لقيمة وحق العبد، وقد تعاطفوا مع العبيد لانهم رفضوا الملكية والمال ونبذوا الثروة، فما الذى يمكن أن يمتلكه المرء سوى الأرض التى يطأها، وإن لا يحق له امتلاك الأشياء فكيف يمتلك إنسانًا آخر، ومن زواية أخرى لم يعترف الكلبيون بأن لفظ العبد ينطبق عليهم، وبغض النظر عن وضعه يبقى الكلبى حرًا، بل يتمتع بحرية أعظم من السيد، وقصة بيع ديوجين الموروثة شعبيًا حيث واجه ديوجين بيعه عبدًا، وسُئل عن مهاراته، قال إنه بمقدوره أن يحكم الآخرون، فديوجين فى قيوده ملكًا رغم ما يطرأ عليه ، فحرية الكلبى لا تتحول، رفض الكلبيون مفاهيم التساوى من زوايا الشوارع، وبثوا رسالة الحرية للجميع، وأسهموا بطريقتهم باتجاه تدريجى فى تحديد الحرية فى باطن الإرادة والنفس فى الفلسفة القديمة.

كانت العبودية شكلًا من أشكال الثروة، وتذمر الكلبى من العبودية عندما تتحول إلى مال وذهب وثروة قد تتجاوز احتياجات الفرد اليومية، لقد كان شعار الكلبى هو 'نبذ المال paracharattein to nomisma' (٤٢)، وقد عكس اعتزاز الكلبيين الاحترام المتنامى للكرامة المتجذرة فى الإنسان، وسأل الفيلسوف ستيلبو ديمتريوس الكلبى عمَّ إذا كان قد فقد شيئًا؟ فقال: "لا شيء، كل أشيائي معي". وقد نُهب مُلكه وسُبيت بناته، وهيمن العدو على وطنه، وقد جره الملك المزعوم لاستجوابه بالسلاح. ومع ذلك انتزع ستيلبو انتصار الرجل منه بشهادة أنه رغم غزو مدينته إلَّا أنه لم يُهزم ولم يُهدم؛ لأنه ملك خيرً حقًّا لا يدعيه، وأما الأشياء التي انتُزعت والتي تنتقل من يد إلى يد قد حكم بأنها ليست له، وبالأحرى هي أشياء تغدو وتروح في دعوة الحظ، ولذا كان يتمتع بها وكأنه لا يملكها؛ لأن تملك الأشياء التي تتدفق من الخارج ريبٌ وانزلاقٌ(٤٣).

وهل يكترث المرء إذ كان يبدو ثريًّا لأناس يلاحظون أن ديمتريوس الكلبى ليس فقيرًا بما يكفي؟ والإنسان المفعم بالحيوية الذي يهزم كل توق طبيعي يجعلهم أفقر من الكلبيين الآخرين؛ لأنهم حرموا أنفسهم من امتلاك الأشياء، إنه حرم نفسه من أن يرغب فيهم، وهذا الرجل كما يقولون ليس فقيرًا بما فيه الكفاية! لأنك ترى أنه لم يزعم معرفة الفضيلة بل الفقر (٤٤).

وقال بيون الكلبى بعناية لا تقل المشقة في انتزاع الشَّعر من الصلعان عن الذين لديهم شَعر حسن، وبمقدورك أن تتقين من التشابه في حالة الفقير والغني، حيث إن مشقتهم متشابهة، فكل مال المرء لصيق به، ولا يمكن أن ينحسر دون شعوره به، ولذلك أقول إن ما يمكن قبول تحمله والأيسر ألَّا تكوم المال أحرى من أن تفقده، ولهذا السبب سوف ترى الذين يملكون الثروة ليسوا أكثر سعادةً من الذين هجروها.

وديوجين -وهو المفكر العظيم- رأى هذا وتيقن من أنه لا شيء يُنتزع منه، واستدعى الفقر والحاجة والنقص، وضع أي اسم مخجل تريده على هذا التحرر من الحذر، واعتقد أنه يفتقر إلى السعادة إن وجدتني إنسانًا آخر ليس لديه شيء يفقده، وإما أن أخدع نفسي وإما أنها حياة الملك الذي لا يؤذي وهو فرد واحد بين البخلاء والمحتالين واللصوص والعصابة.

وإن كان يشك أحدٌ في سعادة ديوجين، فإنه يحمل الشك نفسه في الأرباب الخالدين، ويتعجب من أنهم يحيون بالسعادة في القليل؛ لأنهم لا يملكون عقارًا ولا حديقةً ولا أرضًا ينتفع بها فلاح آخر، ولا كمًّا ضخمًا من الربح في السوق، ألم تخجل، مَن أنت حتى تتفوه عن الثروات؟ تعالَ، وانظر إلى العالم، سترى الأرباب مجردين لقد منحوا كل شيء، ولم يمتلكوا شيئًا، هل تعتقد أن الإنسان الذي قد أسقط كل عطاياه من الثروة معوز أو مثل الأرباب الخالدين؟

وأنت تدعو ديمتريوس Demetrius الرجل البومبي الحر السعيد؛ لأنه لم يشعر بالخجل في أنه أغنى من بومبي ذاته، الذي حاز عددًا من العبيد يبلغونه كل يوم كما تبلغ الجيوش القائد، مع أن ثروته كانت من قبل نائبين وحجرة كبيرة.

حتى العبد الوحيد لديوجين قد هرب منه، ولم يفكر أن يرجعه وهو يشير إليه، وقال: "إنه من العار أن يعيش مانيس Manes دون ديوجين، ولكن ديوجين لا يمكن أن يعيش دون مانيس"، وأعتقد أنه قصد "الثروة، وأن عقلك هو عملك، وليس لك شيء عند ديوجين، فقد هرب عبدي أو بالأحرى حررته".

يريد عبيد المنزل الكساء والغذاء، وعليك أن تشاهد كذلك كثرة بطون المخلوقات الجائعة، وتشتري لهم كساء وتحرس أيديهم المسروقة، وتعتمد على خدمات رجال بكائين ولعانين، وما أعظم سعادة الإنسان الذي لا يدين بشيء لأحدٍ سوى نفسه، والتي يمكن أن يرفضها بسهولة!

وبما أنه ليس لدينا مزيد من القوة، فعلينا أن نقلص إرثنا لنتحاشى أخطاء الثروة، فالأجسام أكثر رشاقة في القتال الذي عهدوه بدروعهم أكثر من الدروع التي لا يعرفونها، فحجمها يعرضهم للجروح، وأفضل مقياس للمال هو الذي لا يدقعك في الفقر ولا يخرجك بعيدًا عنه(٤٥).

ج: نبذ عادات المدينة- السياسة والحرب والمواطنة

١- السياسة:

رفض الكلبيون المشاركة الصاخبة فى الانتخابات والقضاء والسياسة اليومية، وأشار ديوجين بأصبعة الأوسط قائلًا "هذه غوغائية أثينا"، وعبر الكلبيون عن استيائهم من السياسة الارستقراطية والملكية ، وطلب ديوجين من أفلاطون ألا يزور الطغاة فى صقلية، لأن بمقدوره أن يأكل الزيتون فى أتيكا، وإذا غسل خسه، فلن يحتاج إلى مداهنة الطغاة مثل ديونيسوس Dionysius. وإن كان شيوخ أثينا أفلاطون وأرسطو وديموستينس Demosthenes يناضلون ضد فليب والإسكندر فإن الكلبيين ظهروا فى كثير من القصص مثل الدبابير تلدغ تلك الشخصيات التى استحقت مزحتهم الحادة، وشعر ملوك مثل بيرديكوس Perdiccas وأكراتيوس Craterus وآخرون بهذه اللدغات.(٤٦)

وقد بدا رفض الكلبيين للحياة السياسية كأنهم ناقمون على المجتمع وكأنهم فى حالة حرب مع البشرية جمعاء، وقد نبذ أنتيستينيس الفخر الأثينى لكونهم سكانًا أصليين، وهم الشعب الوحيد الذى وُلد من الطين الذى يعيش عليه، وهو يقول فى هذا إن نبلهم لا يزيد عن القواقع والجراد، حيث يقول ديوجين لن يحدث فرقًا إذا انمحى جنس البشر بأكمله؛ لأنه ليس أفضل من الذباب والدبابير، واعتاد أن يستعمل كلمة 'إنسان' مرادفة لكلمة 'بائس'، كما يعتقد أن عددا قليل من الناس من ينتمون للبشر ومعظمهم ينتمى للغوغاء ochlos، وفى الصورة الشهيرة أضاء ديوجين فانوسًا فى ضوء النهار وتجول فى المدينة بحثًا عن إنسان، كما لوكانت الشمس المشرقة على البحر المتوسط ليست كافية للبحث عن هذا المخلوق النادر بعيد المنال.(٤٧)

إذا كانت الحرب امتدادا للسياسة فإن الكلبيين تخلوا عن السياسة المألوفة بما فيها الحرب غير المجدية، فقد شاعت الحرب فى مدن المدينة اليونانية القديمة،

وصارت جزءًا من نسيج الحياة المألوفة، فقد يأخذ الرجال أسلحتهم فى الربيع أو الصيف ويسيرون نحو مقاتلة أخرين فى مدن مجاورة ، وقد واجه اليونانيون فى موقفهم من الحرب مثل موقفهم من العبودية، وشككوا فيه حيث لا يوجد 'سلام دائم' أو حتى نهاية للحروب، وحتى الدعوات التى وجهت لليونانيين بعدم محاربة أخوانهم قد تأخرت ولم يُستجب لها(٤٨).

اتفق الكلبيون على أن الحرب أمر غير طبيعى فلما تتزيى الحيوانات بالحديد وتصطف وتقتل بعضها بعضًا؟ وفى اقتباس مشهور تلاعب كراتيس Crates بالكلمات ليقارن قادة الحروب بسائقى البغال، حيث تعنى كلمة قائد general أو stratēgos حرفيا فى اليونانية 'سائق الجيش'، ولذا يشبههم كرايتيس 'رعاة هوميروس'، هؤلاء الرعاة الذين يدفعون الرجال إلى الأمام مثل وحوش فاقدة الوعى، وفى حكاية أخرى كان الكورنثيون يستعدون للهجوم مع الإسكندر، وكان ديوجين هو الشخص الوحيد الذى لم يفعل شيئًا، وأخذ يدحرج نفسه من أعلى التل إلى أسفله، وقد تتوافق هذه الحكاية مع عدم جدوى الحرب بالنسبة للكلبيين، وكذلك كل الدوافع المعتادة مثل الشرف والانتقام والمجد والثروة والنسب والوطن الأم، وهى تجريدات كاذبة، وهى مجرد دخان لا يعنى شيئًا، فإذا كان المرء يعيش اللحظة الراهنة فلماذا يقضى هذه اللحظة وهو يتزيى بدرع برونزي ثقيل على سهل مترب، مدفوعا بعماء موجها رمحه إلى الإمام مصوبا لأخر فى رقبته أو فخذه، وإن من يخوضون الحروب يقاتلون من أجل لاشئ، وهذه الأفكار المعقدة تعادل مظاهر عدة للتخلى الكلبى: مثل نقد الملوك الذين واجباتهم الرئيسة القتال، والمدافعون لرغبة المجد على الغالب، وليس قبولهم للخزى والفقر والعبودية والنفى شرًا، ورفضوا القتال بالهروب منه.

وعندما سئل ديوجين عن الطريقة التى يعامل بها الطاغية ديونيسيوس أصدقاءه، قال: مثل أكياس النقود، يعلقها فى حزامه حينما تكون زاخرة بالنقود، ويلقى بها بعيدًا حينما تكون فارغة (٤٩)، وهذه المقولة من ديوجين لب مفهوم السياسة وهى أن السياسة فن الممكن.

وعندما عُيّر أنتيستينيس ذات مرة بسبب مخالطته للأوغاد قال :" إن الأطباء يلازمون مرضاهم، ومع ذلك لا يصابون بالحمى"، وكان يقول من خطل الرأى أننا لا نعفى الأوغاد من خدمة الدولة، فى حين أننا ننقى القمح من الأعشاب الضارة، ونستبعد غير الأكفاء من ساحة القتال (٥٠).

٢- المواطنة والنفى:

اعتبر اليونانيون أن رغبة الكلبيين فى المواطنة والنفى دليلًا قاطعًا لبغضهم للناس وتدمير مدنهم الأصلية، حيث كان التخلى عن العرف قد كلل بالتخلى الطوعى عن المواطنة وقبول النفى وهما سبيلًا وحيدا للعيش، وكانت المواطنة من الناحية التقليدية مكنزًا بقدر ما تمنحه من فوائد مثل الإحساس بالانتماء والاعتزاز بها، وكان الحرمان من الحقوق والحماية المدنية على النقيض عقابًا يأتى فى ضراوته بعد الإعدام، وكانت عقوبة الحرمان تمنع المرء المدان من استعمال المحاكم والمعابد والأجورا agora والجمعيات والمبانى العامة، أى أنه لا يستطيع البيع والشراء أو يجرى أى تعاملات تجارية، ولا يمكنه التصويت، ولا يدافع عن نفسه فى المحاكم وبالتالى يمكن إدانته بسهولة، والأسوء من هذا كله لا يمكنه التضحية للأرباب مما يُغضبهم عليه، وهذا من شأنه يحول الحياة إلى ما لا يُطاق، وهكذا كانت عقوبة الحرمان بمثابة النفى، ولم يكن النفى أمر هينًا أيضا، لأن المدن الأجنبية تعطى للمنفى حقوقًا مدنية أقل، فيعانى فيها المنفى ما يعانيه المهاجرون فى كل مكان: حيث مضايقات أهل المدينة لهم، وصعوبات فى ممارسة الاعمال التجارية وتكوين الصداقات، ووجود تمثيل فى المحكمة والجمعيات وما شابه هذا.(٥١)

وقد لخص ديوجين موقفه من المنفى فى جملة واحدة وهى أن" المنفى جعلنى فيلسوفًا" ، وهذه الجملة لها تمثلات وتداعيات عدة، حيث تخلى بعض الكلبيين عن مواطنتهم، وانطلقوا صوب الطريق الأرحب وصاروا 'مواطنين فى الكون'، وكتب بعضهم مثل بيون Bion وتيليس Teles وديو خريسوستوم Dio Chrysostom عن المنفى، وناقشوا عدم الخوف منه، وأنه قد يكون نافعًا فى التنكر، والتخلى عن المنزل والزوجة والأطفال والممتلكات والعمل والأرض والحرفة، والمال وعملة المدينة أو حتى التخلى عن الحرب من أجل الملك أو قائد الجيش، وهذا التنكر الكلبى يرفض فيه حياة الخصوصية؛ لأن الحياة لا ترتبط بخصوصية المكان والناس وعاداتهم وتقاليديهم التى أراحتهم بسبب ألفتها ورسوخها فيهم(٥٢).

وروى ديوجين لارتوس أنه عندما خاطب شخص ديوجين بقوله :إن أهل سينوبى قد حكموا عليك بالنفى"، قال أما أنا، فقد حكمت عليهم بالبقاء فى وطنهم وعدم مغادرته (٥٣).

ولم تكن هذه رؤية الكلبيين فحسب فإن موسونيوس روفوس يومن بأن العالم كله وطنا لكل الناس وأن العاقل من لا يفرق بين بلد وآخر فالسماء

مفتوحة لكل الطيور ولا تغلق أبوابها على طير بعينة وكذلك الأرض لكل الناس على حد تعبير يوربيديس الذى يسرده موسونيوس فى حديثه وهو يقول وقل لى أليس الكون كله موطن الناس جميعا كما قال سقراط؟ حسنٌ إذن، فلا يجب أن تعتبر أنك منفى من وطنك الذى ولدتَ فيه وترعرعت، بل من مدينة بعينها فحسب، ذلك إن كنت عاقلا، فالعاقل من لا يحتقر ولا يحترم مكانًا كما لو كان سببا لسعادته أو بؤسه، ولكنه يأخذ على عاتقه المسألة برمتها ويعتبر نفسه مواطنا فى مدينة الرب التى يسكنها أرباب وأناسى، ويتحدث يوروبيديس عن هذه الفكرة حينما يقول،"وكما تنفتح السماء لطيران النسر كذلك تنفتح الأرض موطنا للإنسان النبيل"(٥٤).

وقد يصف موسونيوس من يبكى على فراقه وطنه بأنه أحمق، لأنه يعتقد أن المنفى عائق لتلبية احتياجاته أو حتى اكتسابه الفضيلة، ويؤكد أن فى المنفى نعم جمة تحول المرء " من شخص بسيط إلى فيلسوف، ويضرب على ذلك مثال الفيلسوف ديوجين السنوبى؛ لذلك " فانتقال الإنسان من البيت الذى ولد فيه إلى منزل آخر فى مدينة أخرى من وطنه فسوف يعتبر مأفونا وموضوعا للتهكم لو بكى وناح لسوء طالعه، لأنه يعيش فى مكان غير الذى ولد فيه، زد على ذلك كيف يكون المنفى عقبة أمام زرع الأمور التى تخصه من تحصيل الفضيلة حيث لم يحدث مطلقا أن امتنعت المعرفة وممارستها عن أحد من جرّاء المنفى؟ ألا يكون من الصحيح أن المنفى يسهم فى تحقيق هذه الغاية حيث يوفر الوقت للتعلُّم والراحة، كما يوفر فرصة أعظم لتعلم الخير وممارسته أكثر من ذى قبل، فليس مجبرا فيه على أداء واجبات السياسة ولا يضايقه أقارب ولا رجال يدَّعون صداقته، والذين برعوا فى تعطيلهم عن توخى غايات أفضل؟ والحق أن هناك حالات يعتبر المنفى بالنسبة إليها بركة كما كان عند ديوجين، الذى حوله منفاه من مواطن عادى إلى فيلسوف، وبدلا من الخمول فى سينوبى انشغل فى اليونان، وأدى به بحثه عن الفضيلة إلى التفوق على الفلاسفة"(٥٥).

د: عادات النفس، الدين واللغة وطقوس الموت والخوف من الألهة والصلاة والفضاء المقدس والأسرار والمعجزات:

إن العادات الاجتماعية والسياسية تقدم توجيهًا لتساؤلات مثل أين نمضى؟ وماذا نفعل؟ وكيف نعيش؟، ولها القدر نفسه من توجه العادات الدينية، ويندر ما ينفصل الدين عن حياة المجتمع، وقد شاع الدين فى الحياة اليومية للثقافات القديمة ويصعب علينا تقديره، فكانت هناك أيام مقدسة لآلهة شتى، ومهرجانات عدة تتخلل السنة فى المدينة أو ربوعها التى تعبد إلهًا أو آلهة بمواكبها وألعابها وأضاحيها وأعيادها وما شابه، ويقال إن أتيكا القديمة احتضنت ما يصل إلى

١٨٠ مهرجانًا فى السنة، وكرست أماكن بعينها لآلهة بعينها، قد تكون بستان أشجار أو كهف أو نهر مشحون بوجود الإله، وقد يقيم المتنسكون فى أماكن مقدسة بعينها مذبحًا ومزارًا مثل المعابد وغيرها لتكريم الإله وإسعاده (٥٦).

ويميل الكلبيون القدامى والهيللينستيون مثل ديوجين وبيون وميبوس إلى اتخاذ موقف سلبى من الدين، فيرى انتستينس أن من الأحرى ألا نصنع أصنامًا نتباهى بجمالها ونتفاخر بها، أو حتى نصنعها على سبيل الافتخار فقد رد على غلام كان يزهو تيهًا بتمثال منحوت من صنعه، وقال: " خبرنى بربك عما يمكن للبرونز أن يتفوه به – فى ظنك- على سبيل الفخار، لو كان له لسان ينطق به، وبعد أن جاءته إجابة الغلام: "إنه سيباهى بجماله"، قال : "أفلا تخجل إذن من أن تبتهج طربًا بالصفات ذاتها التى يفاخر بها الجماد؟"(٥٧).

وقد اعتاد ديوجين أن يتفكر الأمور على النحو التالى: كل الخيرات ملك للأرباب، والحكماء هم أصدقاء الأرباب، والخيرات مشاع بين الأصدقاء، إذن فكل الخيرات ملك للحكماء، وعندما شاهد الفيلسوف ذات مرة امرأة تركع أمام تماثيل الأرباب بطريقة مخزية وغير لائقة، أراد أن يحررها من التمسك بالخزعبلات- على نحو ما يروى لنا زوئيلوس من بيرجيا- لذا اقترب منها وقال لها:" أفلا تخشين يا امرأة أن يكون واحدًا من الأرباب واقفًا خلفك؟، ذلك أن كل مكان فى الأرض يزخر بهم، أفلا تشعرين بالخجل من ذلك ؟(٥٨).

وعندما سأله بائع الأدوية ليسياس عما إذا كان يعتقد فى وجود الآلهة، قال له:" وكيف لا أومن بوجودها، ما دمت على ثقة من أنك عدو للآلهة".....، وعندما شاهد شخصًا يرش الماء (المقدس على جسده نشدانًا للتطهر)، قال له:" يا لك من نكد سيئ الطالع، ألا تعلم أنه ليس بوسعك التبرؤ من الآثام التى ارتكبتها فى حياتك برشها بالماء(المقدس)، على غرار الطريقة نفسها المتبعة فى محو أخطاء النحو؟"، وكان من عادته أن يلوم الناس على ما كانوا يقومون به فى صلواتهم، ويعلن (أنهم يستحقون اللوم) لأنهم يطلبون ما يبدو لهم خيرًا ولا ينشدون الخيرات الحقيقية.(٥٩)

وكان من عادة ديوجين ان يعلن مرارًا بصوت عال أن الآلهة قد جعلوا الحياة التى منحوها للبشر أكثر سهولة، لكن البشر قد كفروا بهذه النعمة وستروها، ذلك لأنهم ينشدون الكعك المغطى بالعسل والطيب والعطور وما يماثلها،وانطلاقًا من هذا قال لشخص كان يرتدى نعليه بمساعدة خادمه:" لن تغدو سعيدًا حقًا إلا حينما يقوم الخادم بمساعدتك على التمخط أيضًا، ولن يتسنى لك التنعم بهذه الميزة إلا عندما تصبح مقطوع الذراعين"(٦٠).

وكان من دأب ديوجين أن يعلن أن الأخيار صور الأرباب، وأن العشق هو مهنة العاطلين [٦١] ومن بين أقوال ديمتريوس Demetrius الجمة العظيمة، قوله: "سمعتُ مؤخرًا كلامًا ولا يزال يطن صداه في أذني: لا شيء يبدو لي أكثر تعاسة من شخص لا يقع عليه مكروه أو محنة"؛ لأنه لا يسمح باختبار نفسه، رغم أن كل شيء يفيض عليه وفقًا لرغبته، أو حتى قبل أن يرغب فيه، ولا تزال الأرباب توجه له حكمًا مريرًا؛ لأنه غير جدير حتى بهزيمة الحظ الذي يتقهقر حتى من أي رجل جبان، كما لو أن الحظ يقول: ماذا؟ هل اعتبر هذا الإنسان خصمًا لي؟ وسيخمد أسلحته على الفور، فأنا لا أحتاج إلى كل قوتي ضده، إنه سيهرب بمجرد الإشارة إليه، حتى أنه لا يستطيع أن ينظر إليَّ، دعونا نكشف عن شخص آخر يمكن أن نقاتله، فإنني أخجل من أن أقاتل إنسانًا لديه استعدادٌ للانتصار!". [٦٢]

وعندما وجد ديوجين بعض الأشخاص يقدمون القرابين للأرباب لكى يرزقوا بابن، قال لهم :" أفليس حريًا بكم أن تقدموا القرابين للأرباب لكى يستوثقوا من شخصية هذا الابن وطبيعته؟"[٦٣].

وعلي أية حال كانت نظرة الكلبيين إلي الدين عمومًا نظرة أخلاقية أكثر منها نظرة إيمانية؛ فقد كانوا يعتبرون أن كل شيء في الدين عدا التمسك بالفضيلة يعد أوهامًا وخرافات؛ فقد كانوا يعتبرون أن جزاء سلوك الفضيلة يجب أن يكون هو الفضيلة ذاتها . وأن هذا الجزاء لاينبغي أن يكون موقوفًا علي الآلهة وعدالتها، فقوام الفضيلة في المأكل والمشرب وعدم الإساءة إلي أحد ويتضح ذلك في إجابة ديوجين علي سؤال سأله سائل عن كيف يستطيع الإنسان أن يدفع عنه أذي غيره؟ فقال: بأن يثبت أنه هو نفسه إنسان شريف مستقيم. [٦٤]

إذن ما قيل عن موقف الكلبيين من الدين سلبيًا موقف جانبه الصواب بل كان موقفًا تنويريا، لأنه لم يرفض الدين بل آمن بأن هناك إله، ليس فى حاجة إلى أضاحى وقرابين، ناهيك أنه رفض أن تعبد مظاهر التدين ويتخلى الناس عن الدين ذاته، ويذكرنا الكلبيون بموقف سينيكا حين قال: وليس الإحسان ذاته شيئا يعد أو كما في يد، وبالمثل لا يتوقف احترامنا للأرباب على ذبح حيوانات الأضاحى، ولا يهم إن كانت سمينة أم بعيون ذهبية لامعة بل الأحرى نية الطاعة في العبادة، وقد يفدى الأخيار بجريش شعير أوكعك ريفى في حين لا يبلى ذنب الأشرار حتى لو لطخوا المذابح بنهر من الدماء [٦٥].

وكان يري ديوجين أن الحكيم يعبد الإله بالفضيلة لا بالنذر والقرابين، فلا حاجة للآلهة إلي الأضاحي والقرابين الدموية، فالمعبد في نظر الحكيم ليس

أكثر قداسة من أي مكان آخر، ومع ذلك لم ينبذ الأساطير اليونانية كما فعل إكسينوفان ولكنه أولها تأويلًا عقليًا [٦٦].

وقد ذكر سينيكا عبارة وردت على لسان بيون الكلبى يقول فيها ويستخدم بيون Bion [٦٧] الحجج ليستدل أولا أن الكل آثمين ومن ثم لا أحد آثم، وحين ينوى رمى الكل من صخرة تاربيا Tarpeian Rock[٦٨] يقول " من أخذ ما يتبع الأرباب ووظفه لاستعمالته فهو آثم ولكن كل الاشياء تتبع الأرباب، وبالتالى كل ما يأخذه المرء يأخذه من الأرباب، لأن كل شئ لهم، ولذا من يأخذ شيئا فهو آثم".

ومن ثم حين حثنا على اقتحام المعابد لنهب الكابيتول Capitol [٦٩] مع الإفلات من العقاب، يقول ليس من أحد آثم لأن ما أُخذ مجرد شىء منقول من مكان يتبع الأرباب إلى مكان آخر يتبع الأرباب أيضا [٧٠].

وقد رد سينيكا على قول بيون والإجابة على ذلك هى أن كل الأشياء تتبع الأرباب حقا ولكن ليست كل الأشياء تكرس لهم، ولاحظنا التواء في ربط الأشياء بقيدها الدينى المحدد بالألوهية فحسب، وهكذا صار العالم كله معبدا للأرباب الخالدين وأنه الوحيد من يستحق درجتها وعظمتها ولكن رغم هذا ميز المناطق المقدسة والمدنسة، وليس بمقدورك أن تعمل كل شىء في ركن صغير كالقبر كما تصنعه تحت قبة السماء المفتوحة وترى النجوم بكاملها، ويقينا لا يضر الآثم الرب المصون من الهجوم لطبيعته الربانية، ومع ذلك سيعاقب المرء بتصرفه هذا على أنه ضر الرب، فوجهة نظره لعمله وعملنا تجعله عرضة للعقاب[٧١].

ثالثًا، الفضيلة:

كانت فلسفة أنتسثنيس الخلقية تقوم علي تقرير أن الفضيلة قابلة للتعلم[٧٢] والتعليم، وأنها كافية لتبليغ صاحبها السعادة؛ لأن من يمتلكها لا يحتاج إلي شىء من خارج، متأثرًا في ذلك بفلسفة سقراط الذي أخذ عنه إكبار حياة الفضيلة وعدم المبالاة بالألم، وقوام الفضيلة بالأفعال وليس بالأقوال، ومن شأن الرجل الحكيم أن ينصاع لناموس الفضيلة لا النواميس الشائعة[٧٣].

وشاع عن أنتستنيس قوله إن الفضيلة هي الطريق الوحيد إلي السعادة وأنها السلاح الذي لا يجب أن نلقي به مهما كانت الأحوال، وأن علينا أن نحصن أنفسنا بأسوار قوية من الفضيلة، وضرب أروع مثال للتمسك بالفضيلة الأخلاقية والزهد في الترف الدنيوي فكان بذلك علي طرف نقيض من دعوي معاصره القورينائي أريستيبوس الساعي إلي اللذة، وكان يقول في هذا أيضًا: لو صادفت

أفروديت لخنقتها بيدي، وقد اتبعه في ذلك تلاميذه الكلبيون حتي تساءل الإمبراطور جوليان فيما بعد هل الكلبية فلسفة أم نوع من الحياة(٧٤).

وعلي الرغم من أن أنتستنيس من السقراطيين مثله في ذلك مثل أفلاطون إلا أنه اختلف مع آراء أفلاطون وخاصة في نظرية الأخير عن المثل، وعارضها بقوة مؤكدًا أنه لا وجود إلا للأفراد. وقد روي أنه أشار إلي ذلك بقوله: آه يا أفلاطون إنني أستطيع أن أري حصانًا لكنني لا أري الحصانية(أي مثال الحصان). وينبغي ألا نطبق علي أي شيء سوي اسمه الخاص فحسب، ففي استطاعتنا أن نقول مثلًا: "الإنسان هو الإنسان"و"الخير هو الخير" فلا ينبغي أن ينسب محمول إلي موضوع مختلف عن الموضوع نفسه. ويرتبط بهذه القضية النظرية التي تقول بأننا لا نستطيع أن ننسب إلي الفرد سوي طبيعته الفردية فحسب، إذ ليس في استطاعة المرء أن ينسب إليه عضوية في فئةٍ ما (٧٥).

ولكن كيف يتسنى لنا الوصول إلى الفضيلة؟ يحاول ديوجين أن يقدم لنا حلًا عمليًا حيث اعتاد أن يقول أن التدريبات على نوعين: تدريبات روحية أو ذهنية وأخرى بدنية، وأن التدريبات البدنية تشكل – إذا ما داوم الإنسان على أدائها- المدركات الحسية، مثل ضمان وجود حرية الحركة اللازمة لتوفير الأفعال المتعلقة بالفضيلة، ولكن نصف هذه التدريبات يكون ناقصًا دون النصف الآخر، فالصحة الجيدة والقوة البدنية أمران كلاهما مطلوب بالدرجة نفسها بالنسبة إلى الأشياء الجوهرية اللازمة سواء للبدن أو النفس، ثم إنه كان يضيف إلى ذلك براهين مؤكدة، لكي يبين لنا أنه من السهل الوصول إلى الفضيلة خلال التدريبات البدنية؛ وذلك لأنه بوسعنا أن نرى – فيما يتعلق بالصناعات اليدوية وغيرها من الحرف الأخرى- أن الصناع أو الحرفيين يقومون بتطوير مهاراتهم اليدوية الفائقة باكتساب الممارسة والتدريب، ومن ناحية أخرى، نجد عازفي الناي ولاعبى التمرينات الرياضية يكتسبون مهارة فائقة بما يبذله كل منهم من جهد ذاتى لا يتوقف ولا ينقطع، ولو أن هؤلاء الفنانين وجهوا جهدهم إلى التدريبات الروحية أو الذهنية، فمن المؤكد أن ما يبذلونه من تعب ومشقة لن يكون عقيمًا أو عديم الجدوى(٧٦).

وكان من عاده ديوجين أن يقول إن الناس يجهدون أنفسهم فى حفر الحفر، والركل بأقدامهم فيي مضمار التنافس مع غيرهم من الأشخاص، لكننا نجد إنسانًا لكى يغدو شخصًا خيرًا فاضلًا. وكان يبدى دهشته من أن علماء النحو والبلاغة يجدون فى البحث عن مثالب البطل أوديسيوس، فى حين أنهم يجهلون مثالبهم أنفسهم، وأن العازفين على الآلات الموسيقية يضبطون أوتار القيثارة

ويشدونها بإحكام، فى حين يضربون صفحًا عن ضبط أهواء نفوسهم وتصرفاتهم وعن التوفيق بينها.

وأن علماء الرياضيات يرنون إلى الشمس والقمر ويحدقون فيهما، لكنهم يغضون الطرف عن تأمل الأمور التى تقع تحت أقدامهم، وأن الخطباء يحتفون فى خطبهم بالعدالة، لكنهم لا يمارسونها أبدًا فى حياتهم، وأن البخلاء يذمون المال، لكنهم فى الحقيقة يحبون المال حبًا جمًا(٧٧).

وكذلك اعتاد أن يدين هؤلاء الذين يغدقون الثناء على الأشخاص العادلين؛ لأنهم يترفعون عن نشدان المال، لكنهم يغبطون ذوى الثراء الفاحش فى قرارة أنفسهم، وكان من عادته أن يستشيط غضبًا من الذين يقدمون الأضاحى للأرباب كى يمنحوهم الصحة، فى حين أنهم يأكلون فى هذه الاحتفالات ماينزل بهم الضرر بصحتهم، وكان يبدى دهشته من العبيد الجائعين الذين يرون سادتهم يتناولون الطعام فى شراهة، ومع ذلك لا يقدمون على انتزاع الطعام منهم لكى يقتاتوا به (٧٨).

وتدلل هذه العادات عند ديوجين على تلازم القول والفعل فى فلسفته، حيث لا يوجد انفصال بين الفضيلة النظرية والعملية، تلك العادة التى غرست فى المجتمع؛ ولذا فإن دعوة ديوجين لعدم الفصل بين الفضائل دعوة تنويرية، حيث إذا شاع هذا الفصل بين الفضائل ساد الشر وفسد الزمن، ولم يختص ديوجين بهذه الدعوة بل شاعت فى مدارس الفكر الهيللينستى، فموسونيوس روفوس وهو أحد فلاسفة الرواق كتب فصلًا كاملًا بعنوان الفضيلة بين النظرية والتطبيق. وقد لخص ديوجين لب هذه الدعوة فى أنه اعتاد أن يقول إن أولئك الذين ينطقون بعبارات سامية ويفشلون فى العمل بها لا يختلفون في شىء عن القيثارة؛ لأن القيثارة ليس بوسعها أن تسمع نغمات العزف التى تصدر عنها، فيواجه الجماهير وهى خارجة منه، وعندما سئل عن السبب فى هذا المسلك، قال:" هذا هو ما درجت على ممارسته فى كل أمور الحياة (أى أننى درجت على أن أسلك عكس ما يفعله الناس)"(٧٩).

وكان أنتيستينيس يعتقد أن الفضيلة مسلك يكمن فى الأفعال، وأنها ليست بحاجة إلى كم كبير من الأقوال أو من المعارف، وأن الرجل الحكيم مكتف بذاته؛ لأن كل (خيرات) ملك له وفى متناول يده، وأن الافتقار إلى الصيت الذائع أمر خير، مثله فى ذلك مثل الألم، وأن الحكيم لا يسلك فى تصرفاته مسلكًا تمليه عليه القوانين القائمة، بل هو يتصرف وفقًا لما يمليه عليه (قانون) الفضيلة، وأن (هذا الحكيم) سوف يتزوج من أجل إنجاب أبناء بعد اقترانه

بامرأة ذات جمال يأخذ بالألباب، وأنه سوف يخضع لسلطان العشق، نظرًا لأن الحكيم هو وحده الذى يدرك مواصفات الإنسانة التى هى حرى إن يغرم بها[٨٠].

إن هذه الفردية المتماهية مع ذاتها التي لا يمكن أن تنسب إلي عضوية ما هي مبالغة في الأحادية، وفي ذلك رفض ضمني للمجتمع المدني والدولة بذاتها وقانونها[٨١]. وفي مجتمع بدون دستور أو قانون يعيش البشر في انسجام؛ وذلك لوجود الحكماء من جهة ولنقاء واستقامة الغرائز الطبيعية في هذا المجتمع الكلبي الفطري من جهة أخري. ويلاحظ أن هذا الاتجاه الفكري يمثل من ناحية هروبًا أو انسحابًا من الواقع أو علي الأقل سلبية نحو الواقع، ومن ناحية أخري يمثل اتجاهًا إيجابيًا حيث يقترح الحياة في مجتمع معين ويتخيل الحكمة في هذا النوع من الحياة، وبذلك نكون أمام مثالية خيالية أراد الكلبيون نشرها مثلهم في ذلك مثل أفلاطون فيما بعد الذي حاول تطبيق مثاليته التي رسمها في الجمهورية [٨٢].

وعلي الرغم من الجانب السلبي الأقرب إلي رفض المجتمع والقوانين الوضعية إلا أنه علي الجانب الديني قد ترتب علي هذه الأحادية والفردية التي دعي إليها، أن رفض أنتسثنيس الدين التقليدي المتعارف فيه علي تعدد الآلهة واعتبره مجرد عرف؛ إذ ليس هناك سوي إله واحد فحسب، والفضيلة هي خدمة لهذا الإله وحده دون المعابد والصلوات الجمعية والقرابين، لقد كان أنتسثنيس أقرب إلي الحقيقة الميتافيزيقية المجردة حينما قال:"يوجد عن طريق العرف كثرة من الآلهة، لكن بالطبيعة لا يوجد سوي إله واحد فحسب"[٨٣].

وكان الكلبيون يذدرون الثروة والشهرة والمولد الحسن ويكتفون بأي مأوي أتيح لهم، مقتدين بديوجينس الذي كان يقول: من مزايا الآلهة أنهم لا يفتقرون إلي شيء، وكذلك الرجل المتأله فهو لا يحتاج إلا للقليل، وإن الحكيم جدير بالمحبة وصديق لجميع أقرانه، وعلينا ألا ندع شيئًا للصدفة[٨٤].

كما أكد الكلبيون أن السبيل الوحيد إلي السعادة هو الحياة المعتدلة الفاضلة؛ وذلك لأن الثروة تفسد الطمأنينة والسلام، وأن الشهوة تأكل النفس كما يأكل الصدأ الحديد، وقد قال ديوجينس أن الآلهة قد وهبت الإنسان الحياة السهلة المريحة، ولكن الإنسان هو الذي عقدها بالتلهف علي الترف، وأكد أيضًا الفيلسوف الكلبي "ديون كريسوستوم" الذي ولد حوالي عام ٤٠م، وعاش في عصر الإمبراطور تراجان وحظي بجدير الاحترام، أكد علي أن السعادة إنما توجد لا في مباني المدينة أو الثروة أو الحياة الناعمة، وإنما في العفة والاعتدال والعدالة والتقوي الحقة. واستشهد علي ذلك بأن حضارات العالم المادية القديمة كالأشورية مثلًا قد فنيت، وأن إمبراطورية الإسكندر العظيمة قد انهارت وأصبحت مدينة بيلا Bella كومة من التراب. وعمومًا فقد اقتربت تعاليم

ديون واهتماماته من تعاليم المذهب الرواقي الداعي إلي انسجام العالم وفكرة المواطنة العالمية [٨٥].

ثمة اعتراضات واضحة على مقولة مونيموس الكلبى "كل شيء هو كما يريده الفكر أن يكون" ولكن قيمة هذه الحكمة واضحة إيضًا إذا أخذنا لبابها، بقدر ما فيه من حق[٨٦]، وقد رد ماركوس أوريليوس على هذه المقولة، إنما تؤذى النفس نفسها، أول ما تؤذى، عندما تصبح – ما أمكنها ذلك- كيانًا منفصلًا، أشبه بورم على جسد العالم. فالسخط على أى شيء تجرى به الأقدار هو تمرد انفصالى عن الطبيعة التي تضم معًا الطبائع الجزئية لجميع الأشياء الأخرى. وتؤذى النفس ذاتها ثانيًا حين تنأى بجانبها عن كائن إنساني آخر أو حين يلج بها الخصام فتعمد إلى إيذائه؛ تلك حال الأنفس التى استبد بها الغضب، وتؤذى النفس ذاتها ثالثًا، حين تستسلم للذة أو للألم، وتؤذى ذاتها رابعًا حين تتكلف وترائى، وتفعل أو تقول غير الصدق وغير الحق، وخامسًا عندما تفقد الهدف فى أى فعل من أفعالها أو ميل من ميولها، فتحيد عن القصد وتخبط خبطًا عشوائيًا، فالفعل مهما صغر ينبغي أن يؤدي لغاية ويرمي إلى هدف، وغاية الكائنات العاقلة هى أن تتبع العقل وتلتزم قانون أقدم دولة وحكومة –العالم[٨٧].

وأعتقد أن هذا الرد من ماركوس أوريليوس لم يخرج عن المبادئ التى أرساها الكلبيون فى مذهبهم، ولذلك وافق منيموس مقولته على قصدها ولم يوافقه فى مغزاها الذى لم يقصده، يقول ماركوس أوريليوس فى التأملات تعلمت من ديوجين ألا أنشغل بالتفاهات، وألا أصدق حديث المشعوذين والدجالين عن الرُقى والتعاويذ وطرد الشياطين وما شابه، ولا أربى طيور العراك، ولا أتحمس لمثل هذه الرياضيات، وألا أضيق بالصراحة، وأن أنجذب للفلسفة، وأحضر محاضرات باخيوس ثم تانداسيس وماركيانوس، وأكتب محاورات منذ نعومة أظفارى، وأحب السرير النقال والدثار وكل ما ينتمى إلى نظم التدريب اليونانى[٨٨].

رابعًا، المواطنة الكونية:

وواضح أن الكلبيين الداعيين إلى الطبيعة كانوا ينظرون إلى الدساتير السياسية والنظم الاجتماعية نظرتهم إلى الأشياء الضارة والأوضاع المصطنعة، ولم يكن الإنسان فى نظرهم مواطنا لمدينة أو دولة خاصة بل وطنه العالم. وكانوا يطمحون إلى مجتمع يعيش فيه الناس جميعا أمة واحدة لا يكون فيها دستور ولا قوانين موضوعة، وإنما يسوده الانسجام الناشئ عن الغرائز الطبيعية فى حال استقامتها ونقائها، وهذا ما تلقاه زينون عن أستاذه أقراطيس، وسنرى أثره فى الدعوة إلى الجامعة الإنسانية التى قدر لها أن تتسع بفضل الرواقيين حتى تشتمل على الجنس البشرى، فتمنح كل فرد من أفراده لقب مواطن العالم[٨٩].

لم يكن الفيلسوف الكلبى يعبأ بمسألة التدرج الطبقى، فلم يكن ينتمى إلى أية فئة اجتماعية، وكان يلقى من سوء المعاملة ما لا يلقاه المتسولون المحترفون، وكان (كما قال ديوجين عن نفسه بلسان أحد كتاب التراجيديا) بلا مدينة وبلا مأوى، بلا وطن، بلا أمة، يهيم على وجه الأرض ليشحذ كفاف يومه من الخبز، وكان يلوذ بحمى المعابد ويتطفل على موائد الناس (٩٠).

ولقد صنع ديوجين ما قد صنعه أبوه لكن على نطاق أوسع فهو يريد أن يزيف كل ضروب العملة السائدة فى العالم مثل هؤلاء الناس الذين قد طبعوا بطابع القواد والملوك، والأشياء التى طبعت بطابع الشرف والعفة والحكمة والسعادة والثراء، كل هذه قد سكت من معدن خسيس وضربت عليها نقوش كاذبة (٩١)، وربما قد كان الدافع هو رفض هوية المدينة الواحدة أو عملة دولة بعينها، تلك الهوية التى يُحدد بها نطلق الدولة أو تحد المواطنين فى التعامل بها، لأن حمل عملة بعينها تبين هوية الدولة أو المدينة.

وقد عاش ديوجين على التسول كما يعيش فقراء الهنود وأعلن إخاءه للجنس البشرى بصفة عامة وللحيوان سواء بسواء، وأعلن قبل الرواقيين بزمن أنه مواطن عالمى (٩٢) وكان ديوجين يهدف إلى أن يرى السعادة ولكن دون أن يكون ثمنها البغى والعدوان، ويرغب فى العدالة دون أن يدفع للحصول عليها ضريبة الانتقام والثأر، ويرغب فى القناعة التى لا تقاس بتكديس الفضة والذهب، وإنما بعقل رصين (٩٣).

وليست فلسفة ديوجين القائمة على مفاهيم البساطة والحرية والطمأنينة سوى محاولة لتحقيق سلام داخلى وسط عالم مضطرب مزقته الحروب، وأصبح من المتفائلين فى موجة الإسراف فى التشاؤم، ولما كان يتوقع أسوأ الفروض فقد أقام لنفسه درعا من السخرية يصد بها اللطمات بأنواعها، ووجد خلف هذا الدرع الأمن الذى يتمثل فى الفكاهة والسخرية اللاذعة المرة، فكان يضحك لكى يمنع نفسه من البكاء(٩٤). وقد فرض عليه هذا السلام الباطنى أن يستوعب صدره جنس البشر بجميع أطيافهم وألوانهم، حتى إنه أنكر سيادة لون أو عرق على آخر، وبالتالى رفض مفهوم العبودية الذى تشدق به أرسطو وأباحه لغير الآثينين رغم أنه مقدونى.

يقول أكراتيس الكلبى "ليس وطنى عبارة عن برج واحد، ولا سقف ظليل واحد، لكن الأرض اليابسة بأسرها هى مدينتى وهى دارى، التى أُعدت لى لكى أتخذها مقرًا وسكنًا"(٩٥). ويؤكد أكراتيس هنا على قول من سبقوه من الكلبيين فى أنهم مواطنو الكون، حيث لا يحدهم قيد وطن بعينه، بل الأرض برمتها مدينتهم.

الخاتمة

ويمكن أن نجمل أهم النتائج التى انتهت إليها الدراسة على النحو الآتى

أولًا: إذا كان مفهوم التنوير يعنى فى اللغة الإسفارة والإنارة والهداية إلى طريق الحق، وفى الاصطلاح استعمال العقل وتقديسه وأن نشأة مفهوم التنوير بنيت فى أوروبا لإعلاء دور العقل، فإن الكلبية فى نزعتها الفلسفية لم تحد عن الاصطلاح ونشأته فى أوروبا رغم أنها سابقة على ظهور المفهوم.

ثانيًا: لم تكن غاية الكلبية السخرية من المجتمع أو التهكم عليه بل حاولت أن نقد العادات الموروثة التى تحاول أن تحجب العقل، وقد تجلى ذلك بداية نقد عادات الفرد من مأكل وملبس ومشرب ناهيك عن التزين الذى لا يوافق الطبيعة، ثم نقد عادات الأسرة فى الزواج والأطفال ولكنهم لم يتماسوا فى هذا النقد فمنم من تزوج ومنهم من عمل فى تربية الأبناء، وربما قد يرجع تصورهم لعدم الزواج وتربية الأبناء إلى عدم التقيد، ونقد بنية الأسرة النووية التى هى مركز لمفهوم الوطن أو المدينة، وهم كما نعلم مواطنون كونيون يرفضون الرضوخ لمدينة بعينها.

ثالثًا: رفضت الكلبية المشاركة فى السياسة بشكلها المعهود فى أثينا حيث الدعايات الصاخبة للانتخابات بشكلها الديمقراطى؛ وكذلك الحكم فى صورته الاستبدادية، وقد يرتد ذلك لرفضهم مفهوم الحرب الذى ارتبط بالسياسة، فالحرب ليست عقلانية،وكذلك كل الدوفع المعتادة مثل الشرف والانتقام والمجد والثروة والنسب والوطن الأم، وهى تجريدات كاذبة، وهى مجرد دخان لا يعنى شيئًا، فإذا كان المرء يعيش اللحظة الراهنة فلماذا يقضى هذه اللحظة وهو يتزيى بدرع برونزي ثقيل على سهل مترب، وإن من يخوضون الحروب يقاتلون من أجل لاشىء، وهذه الأفكار المعقدة تعادل مظاهر عدة للتخلى الكلبى مثل نقد الملوك الذين جعلوا واجباتهم الرئيسة القتال.

رابعًا: نقد مظهر الدين وليس جوهره، فقد أعلن ديوجين مرارًا بصوت عال أن الآلهة قد جعلوا الحياة التى منحوها للبشر بسيطة، لكن البشر قد كفروًا بهذه النعمة وستروها؛ ذلك لأنهم ينشدون الكعك المغطى بالعسل والطيب والعطور وما يماثلها، ورأى أن الأخيار صور الأرباب، وأن التزيد فى العشق هو مهنة العاطلين، الذين يركزون على شكل الدين وليس جوهره، فقد اعتاد اليونانيون أن يركعوا للأرباب وهم عراة للجسد وتناسوا وهم يركعون أن خلفهم أربابًا أخرى تنظر إليهم كما ورد فى القصة التى يسرها

ديوجين لارتوس عن ديوجين التى يسخر فيها من المراة التى تركع للرب وخلفيتها مكشوفة، ولم تكن رؤية الكلبية إلحادية بل تحاول أن ترفض غلبة مظهر الدين على جوهره، وهى رؤية تتشابه فى زمننا بدعوى تجديد الفكر الديني.

خامسًا: لم يخرج الكلبيون فى دعوتهم للفضيلة عن الإطار الهيللينستي الذى يرى أن الفضيلة ليست نظرية بل الفضيلة الحقة هى يتطابق فيها القول والعمل؛ ولذا كان مسلكهم الحياتى اليومي يتساير مع ما يعتقدونه من فكر، وأنه يمكن الوصول إلى الفضيلة بالتدريب الذى ينشطر إلى تدريب روحى وتدريب جسدى، وأن الفضيلة مسلك يكمن فى الأفعال، وأنها ليست بحاجة إلى كم كبير من الأقوال أو من المعارف، وأن الرجل الحكيم مكتف بذاته.

وأخيرًا: دعت الكلبية إلى المواطنة الكونية، وسبقت فى هذه الرؤية المدرسة الرواقية، حيث أعلن ديوجين أنه مواطن كونى،ولم يرتض أكراتيس أن يكون وطنه عبارة عن برج واحد، أو سقف ظليل واحد، لكن الأرض اليابسة بأسرها هى مدينته وداره.

الحواشي

[١] - ابن منظور: لسان العرب ، طبعة بولاق: القاهرة ، ١٨٨٣م (٤٥٧١/٦)
[٢] - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ،القاهرة، م٢٠٠٤، (٩٦٢/٢)
٣ - د/ عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصباغ : مصطلح التنوير : مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث " نظرة تقويمية "، فبراير ٢٠٠٥م منتدي الفكر الاسلامي، جدة ، ص٧
٤ - دورينداً أوترام : التنوير، ترجمة د/ ماجد لويس إبراهيم ، دار الفارابي ، الطبعة الأولي ، ٢٠٠٨م ، ص٥٩
٥ - د/ عاطف العراقي : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، قضايا ومذاهب وشخصيات، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٨م، ص١٤
٦- غيرترود هيملفارب، الطرق إلى الحداثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، سلسلة عالم المعرفة، عدد٣٦٧ سبتمبر ٢٠٠٩م، ص ١٦.
[٧] - المرجع نفسه، ص١٧.
٨ - برتراند رسل: حكمة الغرب، ترجمة : د.فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، عدد٣٦٥، ط٢، يوليو ٢٠٠٩م، ج٢، ص ١٢٦.
[٩] - غيرترود هيملفارب، الطرق إلى الحداثة، مرجع سابق، ص ٨.
[10] - Donald R. Dudley: Cynicism from Diogenes to the 6th century A.D, Methuen and co. LTD, London, 1937, p5
[11] - Luis E. Navia: Classical cynicism: a critical study, Greenwood Press, United States of America, 1996, p12
[12] - - Luis E. Navia: P13.
[13] - Donald R. Dudley: Cynicism from Diogenes to the 6th century A.D, Methuen and co. LTD, London, 1937, p1.
[14]- Zeller Eduard: Outlines of the History of Greek philosophy, translated by l.R.Palmer, Routledge, New york, 1928,.p.106
[15]- Murray,G.,five stages of Greek religion ,Oxford university Press, 1930,p.118.
[١٦] - نوال الصراف : المرجع في الفلسفة ، نحو فلسفة توازن بين الفكر الميتافيزيقي و التفكير العملي، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٨٣ م ، ص١٠٣
[١٧] - - وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية،ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد،دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٨٤،ص١٣٨
[١٨] - أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة١٩٨٦م ، ص٣٧٠
[١٩] - نفس المرجع السابق، ص٧.
[٢٠] - محمد علي أبو ريان : أرسطو والمدارس المتأخرة ، تاريخ الفكر الفلسفى، الجزء الأول "الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون" ، دار الجامعات المصرية – الطبعة الخامسة الإسكندرية ،١٩٧٤م .ص ٢٥٤.
[٢١] - عثمان أمين: محاولات فلسفية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م، ص١٢٢.
[٢٢] - نفس المرجع، ص١٢٣.
[٢٣] - محمود مراد: دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص٣٢٣.
[٢٤] - جورج اسباين: تطور الفكر السياسي،الجزء الأول، ترجمة حسن جلال العروسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠، ٢٤.
[٢٥] - د.عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٢.
[26] - William Desmond: Cynics, Stocksfield Hall, 2006, p97.
[27] - Ibid: op.cit.p98.
[٢٨] - ديوجينيس اللائرتى: حياة مشاهير الفلاسفة، الجزء الثانى ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٨، ف ٥، فقرة ١٠، ص١٦.

[٢٩] - لوكيوس أنايوس سينيكا، مصدر سابق، ك١١،٧-١١،١-٢، ص٢٥٠.
[٣٠] - ديوجينيس اللائرتى: فقرة ٣٧، ص٣٩.
[٣١] - نفس المصدر: فقرة ٣٥، ص٣٨.
[٣٢] - - نفس المصدر: فقرة ٣٥، ص٣٨.
[٣٣] - نفس المصدر: فقرة ٥٥، ص٥٤.
[٣٤] - نفس المصدر: فقرة ٥٨، ص٥٥.
[٣٥] - نفس المصدر: فقرة ٦٩، ص٦٤.
[36] - Philo: *Every Good Man is Free* , VoL IX, Translated by F.H. Colson, Harvard University press, London, 1985, ,121–2, p81.
[37] - William Desmond: Cynics,p93.
[38] - Ibid,p94
[39] - Epictetus: Dissertations 3.22.77–82
[40] - Malherbe, A. J. 1978. "Ps.-Heraclitus, Ep. 4: The Divinization of the Wise Man". Zeitschrift für Antikes Christentum (JAC- 21: 42–64.p47.
[41] - William Desmond: Cynics,p95.
[42] - Ibid,p98.
[٤٣] - لوكيوس أنايوس سينيكا: عن صمود الحكيم، محاورات السعادة والشقاء، ترجمة د. حماده احمد على، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٨، ٥-٦، ٥-٧، ص ٢١٥.
[٤٤] - لوكيوس أنايوس سينيكا: عن الحياة السعيدة، محاورات السعادة والشقاء، ترجمة د. حماده أحمد على، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٨، ١٨-٣، ص٣٣٢.
[٤٥] - لوكيوس أنايوس سينيكا، عن سكينة العقل، محاورات السعادة والشقاء، ترجمة د. حماده أحمد على، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٨، من ٨-٣ حتى ٨-٨، ص٢٦٢-٢٦٣.
[46] - William Desmond: Cynics,p110.
[47] - Ibid p111.
[48] - Ibid p112.
[٤٩] - ديوجينيس اللائرتى: فقرة ٥٠، ص٤٩.

[51] - - William Desmond: Cynics,p113.
[52] - Ibid ,p114.
[٥٣] - ديوجينيس اللائرتى: فقرة ٤٩، ص٤٨.
54 - , Musonius Rufus:Yale Classical Studies,Edited by Alfred. R. Bellinger, Volume 10, Yale University press, 1882.ix. 20-25,p69.
[55] - Ibid, ix, 5-30, p71.
[56] - William Desmond: Cynics,p115.
[٥٧] - ديوجينيس اللائرتى: فقرة ٩، ص١٥.
[٥٨] - نفس المصدر: فقرة ٣٧، ص ٤٠.
[٥٩] - نفس المصدر: فقرة ٤٢، ٤٤.
[٦٠] - نفس المصدر: فقرة٤٤، ص٤٥..
[٦١] - نفس المصدر: فقرة ٥١، ص ٥٠.
[٦٢] - لوكيوس انايوس سينيكا: عن العناية الربانية، محاورات السعادة والشقاء، ترجمة د. حماده أحمد على، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٨م، ٣-٣، ص٣٦٣.
[٦٣] - ديوجينيس اللائرتى: فقرة ٦٣، ص٥٩.
[٦٤] - ول ديورانت: قصة الحضارة، ج٢، م٢، (حياة اليونان-، ط٣، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م، ص٤٦٥
[٦٥] - لوكيوس انايوس سينيكا: عن الإحسان، ترجمة د. حماده احمد على، دار آفاق،القاهرة، ٢٠١٧، ك١، ٦-٣، ص٧٦.

[٦٦] - حربي عباس: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلي الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م ، ص٣٢١
[٦٧] - فيلسوف كلبى نشط فى القرن الثالث ق. م من مدينة بوريستينيس Borysthenes على البحر الأسود.
[٦٨] - وكان المنحدر حادا بالقرب من القمة الجنوبية لتل كابيتولين Capitoline ويطل على الميدان الرومانى العام، وقد كانت قمة تاربيان فى العصر الجمهورى موقعا لإعدام من أدينوا بالخيانة والقتل والتدنيس.
[٦٩] - وكان تل كابيتولين يواجه المعبد العظيم لجوبتر وجونو ومينيرفا.
[٧٠] - لوكيوس انايوس سينيكا: مصدر سابق، ك٧، ٧-٧، ١-٢، ص٢٤٦.
[٧١] - نفس المصدر، ك٧، ٧-٣، ٢٤٧.
[٧٢] - ديوجينبس الائرتى: فقرة ١٠، ص١٦.
[٧٣] - ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس(٥٨٥ق.م- إلي أفلوطين(٢٧٩م- وبرقلس(٤٨٥م-، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م، ص١٥١
[٧٤] -أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ،١٩٩٨م ، ص٣٥٢
[٧٥] - فريدريك كوبلستين: تاريخ الفلسفة، المجلد الأول (يونان ورومان-، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام، الطبعة الأولي منشورات المجلس الأعلي للثقافة، المشروع القومي للترجمة(٤٣٦-، القاهرة، ٢٠٠٢م ،ص١٨١.
[٧٦] - ديوجينيس اللائرتى: فقرة ٧٠، ص٦٤.
[٧٧] - نفس المصدر: فقرة ٢٧، ص ٣٤.
[٧٨] - نفس المصدر: فقرة ٢٨، ص٣٥.
[٧٩] - نفس المصدر: فقرة ٦٣، ص ٦٠.
[٨٠] - نفس المصدر: فقرة ١١، ص١٧.
[٨١] - مصطفي النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي"المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهللينستي"، ط٢، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٣٠
[٨٢] - حربي عباس: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلي الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م ، ص٣٢٣
[٨٣] - مصطفي النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي"المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهللينستي"، ط٢، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٣٠
[٨٤] - ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس(٥٨٥ق.م- إلي أفلوطين(٢٧٩م- وبرقلس(٤٨٥م-، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١، ص١٥٥
[٨٥] - مصطفي النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي"المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهللينستي"، ص٣٣،٣٧
[٨٦] - ماركوس أوريليوس: التأملات،: التأملات، ترجمة د.عادل مصطفى، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٠، ف٢، ٢-١٥، ص ٥٢.
[٨٧] - نفس المصدر: التأملات، ف٢، ٢-١٦، ص٥٣.
[٨٨] - نفس المصدر: ف١،١-٦، ص ٣٠.
٨٩ - د. عثمان أمين: مرجع السابق، ص٥٦.
٩٠ - د. حربى عباس عطيتو: الفلسفة القديمة من الفلسفة الشرقية إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص٣٠٥
٩١ - نفس المرجع : ص٣١١
٩٢ - نفس المرجع ، ص٣١٣
٩٣ - نفس المرجع، ٣١٨
٩٤ - هنرى توماس: أعلام الفلاسفة، ترجمة مترى أمين ومراجعة ذكى نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤ ص١٤٠
٩٥ - ديوجينيس اللائرتى: ف٧، فقرة ٨٩، ص ٩٨.
****

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأجنبية

[95] - , Epictetus: Dissertations

[2] - Musonius Rufus: Musonius Rufus:Yale Classical Studies,Edited by Alfred. R. Bellinger, Volume 10, Yale University press, 1882.

[3] - Philo: *Every Good Man is Free* , VoL IX, Translated by F.H. Colson, Harvard University press, London, 1985,

ثانيا: المصادر المترجمة إلي العربية

ديوجينيس (اللائرتى): ١- حياة مشاهير الفلاسفة، الجزء الثانى ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٨م.

سينيكا (لوكيوس أنايوس): ٢- عن صمود الحكيم، محاورات السعادة والشقاء، ترجمة د. حماده احمد على، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٨م

ـــــــــــــــــــ: ٣- عن الحياة السعيدة، محاورات السعادة والشقاء، ترجمة د. حماده أحمد على، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٨م

ـــــــــــــــــــ: ٤- عن سكينة العقل، محاورات السعادة والشقاء، ترجمة د. حماده أحمد على، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٨م

ـــــــــــــــــــ: ٥- عن العناية الربانية، محاورات السعادة والشقاء، ترجمة د. حماده أحمد على، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٨م

ـــــــــــــــــــ: ٦- عن الإحسان، ترجمة د. حماده احمد على، دار آفاق،القاهرة، ٢٠١٧م

أوريليوس (ماركوس): ٧- التأملات، ترجمة د.عادل مصطفى، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٠م

ثالثا: المراجع العربية والمترجمة إليها

الصايغ (د.نوال الصراف): ١- المرجع في الفلسفة ، نحو فلسفة توازن بين الفكر الميتافيزيقي و التفكير العملي، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٨٣ م .

أبو ريان (د.محمد علي): ٢- أرسطو والمدارس المتأخرة ، تاريخ الفكر الفلسفى، الجزء الأول "الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون" ، دار الجامعات المصرية – الطبعة الخامسة الإسكندرية ،١٩٧٤م

اسباين (جورج):٣- تطور الفكر السياسي،الجزء الأول، ترجمة حسن جلال العروسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠١٠.

أمين(د.عثمان): ٤- الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٧١

أمين (عثمان): ٥- محاولات فلسفية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٣،

أوترام (دوريندا) : ٦- التنوير، ترجمة د/ ماجد لويس إبراهيم ، دار الفارابي ، الطبعة الأولي ، ٢٠٠٨م .

توماس (هنرى): ٧- أعلام الفلاسفة، ترجمة مترى أمين ومراجعة ذكى نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤
رسل (برتراند): ٨- حكمة الغرب، ترجمة : د.فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، عدد٣٦٥، ط٢، يوليو ٢٠٠٩.
ستيس وولتر: .
الصباغ (د.عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي) : ٩- مصطلح التنوير : مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث " نظرة تقويمية "، فبراير ٢٠٠٥م منتدي الفكر الاسلامي، جدة .
عاطف (د.العراقي) : ١٠- العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، قضايا ومذاهب وشخضيات، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٨م.
عطيتو (د. حربى عباس): ١١- الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلي الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م ،
فخري (د.ماجد): ١٢- تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس(٥٨٥ق.م) إلي أفلوطين(٢٧٩م) وبرقلس(٤٨٥م)، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١
كوبلستين (فريدريك): ١٣- تاريخ الفلسفة، المجلد الأول (يونان وروما)، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام، الطبعة الأولي منشورات المجلس الأعلي للثقافة، المشروع القومي للترجمة(٤٣٦)، القاهرة، ٢٠٠٢م
مراد (د.محمود): ١٤- دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٤
مطر (د.أميرة حلمي): ١٥- الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ،١٩٩٨م
مطر (د.أميرة حلمي): ١٦- الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة١٩٨٦م
النشار (د.مصطفي): ١٧- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي"المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهللينستي"، ط٢، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥

رابعا: المراجع الأجنبية

A. J (Malherbe).:1- “Ps.-Heraclitus, Ep. 4: The Divinization of the Wise Man”. Zeitschrift für Antikes Christentum (JAC) 1978
Desmond (William):2- Cynics, Stocksfield Hall, 2006
Eduard (Zeller):3- Outlines of the History of Greek philosophy, translated by l.R.Palmer, Routledge, New york, 1928.
G, (Murray).: 4- five stages of Greek religion ,Oxford university Press, 1930.
Navia (Luis E).: 5- Classical cynicism: a critical study, Greenwood Press, United States of America, 1996.
R. Dudley (Donald):6- Cynicism from Diogenes to the 6th century A.D, Methuen and co. LTD, London, 1937.

خامساً: المعاجم والقواميس ودوائر المعارف:

ابن منظور: لسان العرب ، طبعة بولاق: القاهرة ، ١٨٨٣م.
المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ،القاهرة، ٢٠٠٤.